
روايات مصرية للجيب
42
د. أحمد خالد توفيق
فانتازيا
الملل بعينه
Looloo
www.dvd4arab.com

مقدمة

(عبير عبد الرحمن) شخصية عادية إلى حد غير مسبوق .. إلى حد يخطف الأبصار .. إنها الشخص الذى نتمنى ألا نكونه حين نتحدث عن أنفسنا .. الشخص الذى لا يتفوق فى الجمال أو القوة أو البراعة أو الذكاء .. لكن لا بد من شىء ما يميزها وإلا لعاشت وماتت دون أن نسمع عنها .. ثمة أبطال قصص يمتازون بالقوة .. ثمة أبطال يمتازون بالذكاء الخارق .. ثمة أبطال يمتازون بالحظ العاثر .. ثمة أبطال يمتازون بأنهم لا يمتازون بشىء .. ويبدو أن (عبير) من هذه الفئة الأخيرة ..

فى نقطة واحدة تفوقت (عبير) علينا .. إنها تملك ذلك الخيال الشاسع بحجم المحيط ، وتملك فكرة عن أكثر العوالم الخيالية التى أبدعتها قريحة الأدباء والفنانين والسينمائيين ومصممى الألعاب ، كما أنها امتلكت ذلك الجهاز الغريب الذى يولد الأحلام ، والذى لا يصلح إلا لها فى الواقع ، وبهذا غدت أول مخلوق بشرى يستطيع ارتياد تلك العوالم الساحرة ، بل يشارك فيها كذلك .. ومن البديهى أن (عبير) صارت تنتمى لـ (فانتازيا) أكثر مما تنتمى لعالمنا .. وبالنسبة لها لم تعد مشاكل الواقع إلا منغصات تتخلل فترات الحلم الأكبر الدائم فى (فانتازيا) ..

إن (عبير) كريمة النفس ، لهذا لن تتركنا هنا وحدنا مع واقع لا يتغير .. سوف تصحبنا معها .. سوف نعبر معها عالم المرآة الساحر مثلما فعلت (أليس) يوماً ما .. سوف تقابل - ونحن معها - العبقرى المخيف (دستويفسكى) وتجلس فى مجلس واحد مع (أرشميدس) و(الخوارزمى) و(أينشتاين) .. سوف يشرح لها (فرويد) نظرياته وهو يدخن غليونه الذى أصابه بالسرطان .. سوف تمشى مع (أفلاطون) فى بستان مدرسته .. ستحلق مع (طرزان) فوق قمم الأشجار السامقة ، وتثب مع الرجل العنكبوت من فوق ناطحات السحاب .. ربما تخدعها الساحرة الشريرة كى تلتهم التفاحة ، أو تهدد المقصلة عنقها ، ولربما تضع قدميها على تربة المريخ الحمراء ، أو تغطس فى كرة أعماق الدكتور (بيب) .. ربما تفتح قبر (توت عنخ آمون) أو تحارب جحافل المغول ..

إنها (فانتازيا) حيث القواعد الوحيدة للعبة هى : لا قواعد .. وحيث الحدود الوحيدة لرقعة الخيال هى : لا حدود ..

إن جرس المحطة يدق ، والبخار يتصاعد من مدخنة القطار .. والمرشد الملول الذى يرشدها فى أنحاء (فانتازيا) يقف نافد الصبر على باب القطار .. فلنتخذ مقاعدنا بسرعة ..

لقد حان موعد قصة أخرى ..

يصعب على المرء أن يقدم للمرة الأولى قصة للقراء لا يرسمها الفنان الأستاذ (إسماعيل دياب) ولا يشرف على تنسيقها الأستاذ (صبحى عبود) - عم (صبحى) كما ينادونه فى المؤسسة - خاصة أنها المرة الأولى منذ وضعت قدمى هنا، لكن هذه سنة الحياة ولسوف تستمر أردنا أم لم نرد .. ليرحم الله الفقيدين العزيزين ويرحمنا يوم يقول الرسام الجديد : يحز فى نفسى أن أرسم غلاف قصة لم يكتبها فلان أو فلان ....

١ ـ حياة لزجة ..

قال لها (مراد) :

ـ « يبدو عليك الإرهاق .. » :

قالت فى لا مبالاة :

ـ « لا .. انا بخير .. »

غاب ربع ساعة ثم عاد ليقول لها فى حنان :

ـ « يبدو عليك الإرهاق .. »

ـ « قلت لك إننى بخير .. »

راح يمارس عمله المعتاد .. يتأكد من حسابات الصبية ويعيد تنصيب النوافذ على الأجهزة (وهو يفعل هذا كل أسبوع) ويخفى كل ما يمكن أن يجده رجال مباحث المصنفات لو قاموا بكبسة ما ، ثم سألها :

ـ « يبدو عليك الإرهاق .. »

ـ « يا أخى قلت لك إننى بخير .. »

ـ « بالعكس .. يبدو عليك الإرهاق .. »

لم تكن (عبير) معتادة مناورات الرجال .. لكنها اليوم تعرفها بسرعة عجيبة .. هذه مناورة (التظاهر بالحنان) .. إننى أهتم بك أكثر مما تهتمين أنت بنفسك .. أنت تشعرين بأنك بخير لكنى أؤكد لك وأقسم أنك لست بخير على الإطلاق .. أنا حنون . أنا رائع ..

كان الطقس حارًا وشعور بالتعاسة يغمرها .. لذا شعرت تجاه حنانه بما تشعر به أنت تجاه ذبابة لا ترحمك وتصر على أن تلاحقك بينما العرق يغمرك .. (لزوجة) هذه هى الكلمة العبقرية التى تصف كل شىء ..

ـ « يبدو عليك الإرهاق .. » :

هذه المرة لم ترد وانشغلت بعملها .. فعلاً تكفل هذا الـ (مراد) بجعل حياتها أسوأ ـ وهذا شىء مستحيل الحدوث ـ لكنه عبقرى فعلاً .. الرجل الذى يحول الطين إلى ما هو أسوأ لرجل جدير بوصف (عبقرى) .. وما يثير غيظها هو أنه لا يطاردها لأنه معجب بها .. غريزة الأنثى لن تخدعها ولا تخطئ أبدًا .. هو ليس معجبًا بها على الإطلاق .. فقط هو يكره أن يترك فرصة سهلة تمر به دون

أن يغتنمها .. يكره أن يكون مع أنثى فى مكان واحد ولا يغازلها .. يعتبر هذا نوعًا من (الاستخسار) مع الاعتذار عن اللفظ العامى ..

طبعًا هى ليست فرصة سهلة .. ليست فرصة على الإطلاق .. لكنه مصر على أنها سهلة ، وتمنعها يثير جنونه لأنه يهز ثقته بنفسه .. إذا لم ترحب (عبير) بملاطفاته فمن ترحب بها إذن ؟ إنها تجرح كبرياءه الذكرى بشدة وهذا يدفعه للتمادي ، بينما هى فعلاً لا تريد من هذا المكان إلا العمل ..

ـ « يبدو عليك الإرهاق .. أنا مصر على هذا .. »

★ ★ ★

ـ « يبدو عليك الإرهاق .. أنا مصرة على هذا .. »

نظرت (عبير) إلى أمها ولم تتكلم .. أحيانًا تكون المصادفات غير قابلة للتفسير إلا على أنها ليست كذلك .. مزحة كبيرة من الحياة حتى لتشعر بأنها ـ الحياة ـ تدارى ضحكتها الخبيثة الآن ..

خرجت الصغيرة إلى الصالة .. لقد صارت تزحف بكفاءة تامة .. وبرغم فقر ثيابها الواضح (هناك ثياب أطفال لا تكلف شيئًا لكنها تؤدى الغرض) فإنها كانت جميلة فعلاً .. لم تأخذ من (عبير) إلا القليل من ملامحها بينما أخذت من الأب كل شيء تقريبًا .. هذا لحسن حظ الطفلة طبعًا ..

جلست (عبير) القرفصاء واحتضنت الجسد الصغير الدافئ ، ثم وقفت .. كف الطفلة الدقيق الشبيه بكف دمية يتلمس خدها .. لشد ما يمنحنا الأطفال أكثر مما يأخذون منا ! الحنان أغرب ظاهرة فى العالم .. الشيء الوحيد الذى يتشابه إعطاؤه مع تلقيه .. هى النشوة ذاتها سواء كان مسار الحنان منك أو إليك .. هذه الكائنات الهشة التى لا سند لها فى العالم سواها والتى يمكن أن تموت جوعًا لو لم نعتن بها .. لشد ما هى قوية .. لشد ما هى جوهرية لوجودنا ..

أحيانًا كانت (عبير) تعتقد أنها كانت تعيش فى رحم ابنتها وليس العكس ..

قالت الأم :

ـ « ما أخبار العمل ؟ هل من مضايقات ؟ »

كانت تكره لفظة (مطلقة) .. بينتها ترفض هذا الوصف وتتعامل معه فى شك بالغ .. لذا كانت تتوقع أن (عبير) تعمل فى عرين ذئاب يسيل الزبد من أشداقها .. لا بد أن المضايقات تنهال عليها أطنانًا ..

قالت (عبير) وهى تهز الصغيرة هزًا :

ـ « لا مشكلة .. هناك واحد يحسب نفسه ظريفًا لكننى أعرف كيف أدبره .. »

ـ « كونى حذرة .. أرجوك .. »

وراحت (عبير) تفكر .. أتعس شىء فى الحياة هو أن يلاحقك من لا ترغبين فى حبه .. إن الكون عندئذ يغدو أضيق من سم الخياط .. اللزوجة .. هذه هى الكلمة ..

كانت تمتلك الكثير من الرومانسية لكنها لم تستعملها قط حتى صارت كسيف صدئ .. الآن لم يعد من حق أحد أن يطالبها بالبحث عن تلك البقايا النخرة التى نسيتها منذ زمن ..

تريد أن تترك وشأنها .. هل هذا كثير ؟

قالت الأم وهى تلف الطرحة حول رأسها :

ـ « سأخرج إلى السوق لأبتاع بعض الأشياء .. قالت (أم بطة) إنها انتقت لى زوجًا من الحمام .. سأرى ما فعلته هذه النصابة .. »

ثم أشارت إلى الطفلة وأردفت :

ـ « هاتيها معى .. »

ـ « كلا .. أريدها هنا .. »

ـ « إنها لا ترى الشمس .. حرام عليك تركها فى هذه الرطوبة .. الشمس سوف تنعش عظامها الغضة .. »

وانتزعتها من ذراعيها دون أن تنتظر .. وسرعان ما كانت تخرج والطفلة تنظر إلى (عبير) من فوق كتفها وتضحك ..

وحيدة فى الشقة الآن ..

(عبير) وحدها فى الشقة .. عندما تخرج أمها فإن غيابها يتجاوز الساعتين .. دخلت غرفة نومها وراحت تفتش بين ا لكتب المعلقة على الجدار المدهون بالجير .. هل من شىء لم تقرأه بعد ؟ هناك مجموعة من الروايات

الرومانسية (زهور) و(عبير) .. إلخ .. هناك مجموعة أخرى لكتاب فرنسيين .. وماذا عن الألمان ؟ هذه هى (آلام فرتر) التى قدمتها سلسلة روايات الجيب قديمًا .. مجموعة (يوسف السباعى) شبه كاملة .. مجموعة (محمد عبد الحليم عبد الله) الذى كانت له منزلة خاصة فى روحها . أحلام مغلفة كانت تعيش معها فى مراهقتها الأولى .. لكنها الآن صارت مجرد كلمات .. جهاز الاستقبال عندها تالف تمامًا .. إذن لا جدوى من محاولة القراءة ..

كان الكمبيوتر جالسًا ينتظر ..

خطرت لها فكرة مرعبة عما ستفعله لو تلف يومًا ما .. لن يكون أمامها حل إلا البحث عن (شريف) .. هذا خيار مروع .. والأسوأ منه ألا تكون فى حياتها (فانتازيا) للأبد ..

على كل حال ليس من الحكمة أن تستبق الشر قبل وقوعه ..

قامت بوضع الأقطاب حول رأسها ثم اختارت البرنامج الدائم ..

وسرعان ما تلاشت الغرفة من حولها ..

★ ★ ★

٢ـ حسناء ..

قال لها (المرشد) :

ـ « يبدو عليك الإرهاق .. لا أعرف السبب ! »

نظرت له فى غيظ .. إنها مؤامرة إذن . إما أن الأمر كذلك أو هى مصابة بسرطان المثانة وهى آخر من يعرف ذلك ..

قالت له مفضلة عدم الصدام :

ـ « لا شىء .. أرهقت نفسى بالعمل بعض الشىء .. »

راح قطار (فانتازيا) يتهادى وسط المعالم التى تتغير فى كل مرة .. هناك معالم أخرى تضاف بلا انقطاع .. يبدو أن رواية (هارى بوتر) الأخيرة قد صدرت .. هى تعرف هذا لأنها قرأت الخبر ، لكنها لم تقرأ حرفًا منها لهذا لا تستطيع دمجها فى حلم .. هناك روايات جديدة فى كل مكان .. عالم متشابك من أبطال القصص المصورة .. كل هؤلاء المقنعين الذين كانوا يتوارون فى مخازن (دى سى كوميكس DC Comics) و(مارفيل Marvel) قد قرروا الخروج ليزيدوا الحياة سوءًا .. هناك حشد من أفلام (الرجال إكس) و(العنكبوت) و(فتى الجحيم) و(العملاق الأخضر) و(الأربعة

المذهلون) و (رابطة السادة المدهشين) .. يبدو أن مجنونًا فى مكان ما قرر أن القصص المصورة هى لغة المرحلة القادمة من الأفلام السينمائية .. وهاهم أولاء .. كلهم ضخام كالثيران مقنعون يطيرون فى الهواء ولهم شخصيات سرية .. حالة إسهال أبطال حادة لن تجدى معها بعض أقراص المترونيدازول ..

كانت هناك مجموعة من قصص نهاية الألفية التى تتحدث عن فناء العالم .. ثم مجموعة لا بأس بها من إبداعات الكتاب المعاصرين التى تتحدث عن (الصدأ المتراكم من فوق تعاريج اللحظة) .. مع كم لا بأس به من المصادر التى يتم إضافة (ية) لآخرها .. بهذا تنشأ كلمات مثل (تعبوية ـ تصفوية ـ مساراتية ـ حياتية) وهى حيلة لا تخيب لإضفاء جو من الحداثة والثقافة على القصة ..

وسط هذا كله قال المرشد وهو يرقبها فى قلق :

ـ « يبدو عليك الإرهاق .. أنا متأكد من هذا .. »

ثم أضاف مفكرًا :

ـ « أعتقد أننى سآخذك اليوم حسب ذوقى الخاص .. أنت بحاجة إلى هدية .. »

ـ « ليكن . لكن من فضلك لا تأخذنى إلى (ناجازاكى) لأستمتع بمشاهد احتراق الأطفال »

بدا عليه الذهول وهتف :

ـ « من قال لك إننى وغد سادى إلى هذا الحد ؟ »

نظرت له مغتاظة .. كأن من دعاها إلى قبلة (هيروشيما) كان شخصًا آخر .. لكنه كان يراقب معالم الطريق من النافذة .. فجأة هتف :

ـ « بالضبط !! »

سألته فى حيرة :

ـ « ما الذى صار بالضبط ؟ »

لم يرد لأنه كان يجذب الحبل الذى يوقف القطار ..

فى الخارج ترى حديقة ممتدة .. حديقة لا يميزها إلا جمالها .. حديقة حسناء لو شئت الدقة تضطجع على جانبها تنعم بأشعة الشمس .. هناك نافورة تحيط بها تماثيل نساء لا تعرف أبدًا ما يفعلن كعادة تماثيل (أخوة ما قبل رافائيل) .. كأن النحات ينحت أجسادًا ثم لا يعرف ما يجب أن تقوم به هذه الأجساد .. المهم هو الجو الرومانى العام .. هناك

أرجوحة .. هناك إناء لسقاء الطيور .. هناك بيت مهندم أنيق فى وسط المكان ..

وتنظر (عبير) لنفسها فتدرك أنها على الأرجح صارت رائعة الجمال .. هى لا ترى وجهها لكن من تملك هاتين اليدين لا بد أنها أجمل فتاة فى العالم ..

قالت له فى حيرة :

ـ « ما الموضوع ؟ »

ـ « لا شىء .. أنت فتاة جميلة .. وهذا يجعلك محاطة بالعشاق ! »

هتفت فى غيظ :

ـ « ألم تفهم بعد يا أحمق إن هذا هو السبب الذى جعلنى أفر من عالمى إلى (فانتازيا) هذه المرة ؟ أنا هاربة من تودد المتوددين وتلطف المتلطفين .. أريد أن أترك وشأنى ! »

فى عدم فهم وغباء نظر لها وغمغم :

ـ « غريب .. متلطفين ؟ هم م م ! هل أنت واثقة من كلامك ؟ »

ـ « لِمَ لا ؟ ألست كائنًا بشريًا ؟ »

ـ « أنت كائن بشرى .. موافق على هذا على الأقل .. إحم .. لكن .. لنقل إن (كل فولة لها كيال) .. حسن .. لا أرى ما يضايق فى أن يخطب الرجال ودك .. »

ـ « هذا هو الملل بعينه .. خاصة عندما لا أريد ذلك .. إنهم ينصرفون عنك عندما تريدهم ويطاردونك عندما تتمنى الوحدة ! هم فى هذا يتصرفون كالمكالمات الهاتفية .. لم أطلب صديقة لى قط ووجدتها .. لكن حينما أرغب فى الوحدة والهدوء تنهال على المكالمات .. »

قال لها وهو يساعدها على النهوض :

ـ « الجمال موهبة وليس مجرد مزية جسدية .. إنه شىء كالشعر والرسم .. »

قالت محتجة :

ـ « معذرة .. لا أوافقك .. الشاعر والرسام يشقيان كى يولد إبداعهما بينما الفتاة الجميلة لم تبذل أى جهد .. إنها لعبة جينية لا أكثر .. لقد اختارت أبويها بعناية وهذا فضلها الوحيد ، ومن غير العدل أن تنال أكثر مما تناله الفتاة القبيحة .. بل أكثر مما ينال الرجل .. الموديلات العالميات يحصلن على الملايين وهن فى العشرين من العمر ..

الممثلات الحسناوات والمطربات الجميلات يحصدن المال بينما يجلس الشباب فى سنهن على المقاهى ويكافح من أجل بضعة جنيهات .. كم يبلغ دخل الراقصة فى الساعة وكم يبلغ دخل غطاس المجارى فى العام ؟ »

قال لها غير راغب فى إطالة النقاش :

ـ « أنت تتحدثين عن مهن طابعها الدخل الفاحش الاستثنائى .. دخل لاعب الكرة أو الممثل أو المطرب الناجح .. هذا موضوع آخر .. أنا اتكلم عن أن الجمال موهبة .. لم تكن الآنسة (مى) أديبة عظيمة ، لكنها كانت جميلة لبقة بلا شك .. وفى صالونها كان يحتشد قادة الفكر فى مصر من أمثال (أحمد لطفى) و(العقاد) واعتقد كل منهم تقريبًا أنه يهواها .. وحتى (طه حسين) وقع فى غرام صوتها .. برغم هذا كانوا يعتبرونها ندًا لهم .. منهم من امتلك العلم ومنهم من امتلك الشعر ، ومنهم من امتلك البيان .. لكنهم كانوا يضعونها معهم على قدم المساواة لأن موهبتها هى الجمال .. موهبة كأية موهبة أخرى .. ثم من قال إن الشاعر حصل على موهبته بالكفاح وحده ؟ لقد صقلها بالدراسة لكن لا تنكرى أنه ولد بها إلى حد ما .. (موتسارت) ألف أولى سيمفونياته فى سن الرابعة .. فلا تحدثينى من فضلك عن كفاح شاق خاضه ليحصل على موهبته .. إن حضور ألف درس فى

الرسم لن يجعل منك (شاجال) .. ثمة جزء فى كل موهبة منحه الله لصاحبها وولد بها .. »

وضحك ساخرًا وأضاف :

ـ « ومن قال إن المرأة الجميلة لا تتعب ؟ كل ساعات الامتناع عن الطعام خوفًا من السمنة .. كل العناية بأظفارها وبشرتها .. فإذا نامت دهنت وجهها بالزبادى وغطت جفنيها بالخيار كما يغطون جفون مصاصى الدماء بالعملة الفضية لمنعهم من فتحها .. الفنان لم يحصل على موهبته عن طريق الكفاح وحده . والحسناء لم تظفر بجمالها عن طريق الحظ وحده .. »

قالت وقد أرهقها حديثه الطويل ما معناه (هات من الآخر) .. ثم أردفت :

ـ « أى أن الفتاة القبيحة مثلى عاطلة من أية موهبة ويجب أن تُحرق ؟ »

ـ « لم أقصد هذا .. الفتاة التى لا تملك موهبة الجمال لا بد أنها تملك شيئًا آخر فى عقلها .. فى صوتها .. فى أناملها التى قد تعزف أو ترسم أو تحيك .. فى شخصها .. »

كانت الآن تقف على باب القطار ترمق الحديقة فى توجس .. هذا الجمال يوحى بمغامرة رهيبة ولا شك ..

حك ذقنه مفكرًا :

ـ « أريد أن أجد لك اسمًا يوحى بالجمال .. »

ـ « (إنصاف) مثلاً ؟ »

هز رأسه فى غيظ كأنما يطرد ذبابة وقال :

ـ « كفى عن التذاكى .. سيكون اسمك (غيداء) .. هل قابلت من قبل فتاة قبيحة اسمها (غيداء) ؟ »

ـ « لم أقابل فتاة اسمها (غيداء) أصلاً .. »

ـ « هذا جميل .. إنه التفرد الذى أبحث عنه .. والآن انطلقى يا فتاة .. »

★ ★ ★

٣ ـ عن البواب والقيراط وكتاب الوزارة والحاج ومواضيع مماثلة ..

(غيداء) جميلة ؟

يسهل أن تلفظ الكلمات .. إنها مجرد حركة بالشفتين ، لكن التعبير عن هذا الجمال لا يتأتى إلا بالموسيقا .. ربما الرسم .. هذه من اللحظات النادرة التى تتمنى أن تجد فيها لغة جديدة ..

(غيداء) جميلة ؟

يسهل أن تقول نعم .. برغم أن هذا لا يغنى شيئًا .. ربما لو تخيلت خواطر الملائكة .. ربما لو تصورت أحلام الفراشات .. ربما لو أمكنك استراق السمع إلى أسرار النسيم .. ربما لو امتزجت بهدير الشلال وخرير الجداول ، وحلقت مع بذور اللقاح المنبعثة من تنهدات أزهار الليلك ..

(غيداء) جميلة ؟

ربما .. لو امتزجت ألحان (موتسارت) و(بيتهوفن) و(ليست) و(شوبان) فى مزيج واحد ، يرسم على نغماته (رينوار) و(ماتيه) و(بيكار) و(صلاح طاهر) و(الجريكو)

لوحة واحدة عملاقة .. وهذه اللوحة سوف يصورها (دوجلاس سلوكومب) و(كارديف) و(عبد العزيز فهمى) وسوف يستعملها (كيوكور) و(بركات) فى فيلم مشترك .. وهذا الفيلم ستراه أنت فى أرقى قاعة عرض فى العالم وأنت تلتهم (ساندوتش كفتة مشوية) .. ربما عندها تقترب من إدراك الصورة ..

(غيداء) جميلة ؟

نعم .. كانت جميلة .. جميلة بحق ..

فى هذا البيت الجميل نشأت .. كان هناك أبوها وكانت هناك خادمة رقيقة عجوز .. وكان هناك بواب نوبى طيب القلب .. دعك من بذخ البيت الواضح ووجود خادم وبواب وطاهية .. إما أن موجهى التربية والتعليم يكسبون كثيرًا وإما أن أباها يعيش على إرث ما .. هناك دائمًا فدان فى مكان ما يباع فى لحظة ما ..

يبدو الأمر رائعًا .. لكنه ليس كذلك ..

★ ★ ★

فى الصالة هناك مدفأة .. وفوق رف المدفأة توجد لوحة عملاقة تمثل امرأة بارعة الحسن .. تلك الألوان الطيفية (سفوماتو sfumato) التى تجعل الصورة كأنها تطل من عالم الأشباح .. إن هذا صحيح لأن هذه صورة أمها بالذات .. لسبب ما تشحب صور المتوفين وتبهت .. لكن حضور اللوحة طاغ وبشكل ما كانت واحدة من أفراد الأسرة تمارس دورها ..

أبوها رجل وقور من طراز الآباء الذى انقرض أو كاد .. صموت هادئ لكن سلطته لا تتزحزح لحظة عن البيت .. شارب أبيض .. عوينات .. بعض الصلع .. ملامح قسيمة وسيمة تريح النظر وتدل على أن له أصلاً طيبًا .. دعك من أنه أسهم بـ ٥٠٪ من نسبة جينات هذا الجمال الجدير بالأساطير ..

أستاذ (منصور) الموجه السابق بالتربية والتعليم والذى يقضى وقته بعد المعاش فى مهنة واحدة : حمايتها .. لقد توفيت والدتها وهو الآن فى مأزق .. هناك أمور لا غنى للرجل عن امرأة فيها ، وحماية هذه الزهرة اليانعة صغيرة السن أمر يفوق قدرة رجل .. لا بد من امرأة فى

منتصف العمر .. امرأة ذكية تفهم (هذه الأمور) .. ما هى (هذه الأمور) ؟ لا يعرفها طبعًا وإلا فلماذا يفتقد زوجته لهذا الحد ؟

فى ذلك اليوم عاد إلى البيت غاضبًا ..

اتجه إلى سماعة الهاتف وطلب رقمًا ما .. ثم تعالى صوته :

ـ « أستاذ (عدلى) .. لا بد من أن تتصرف .. هؤلاء الأوغاد يواصلون مضايقتى .. لقد استولوا على قطعة الأرض التى كلمتك عنها .. »

ثم صمت قليلاً وراح يصغى .. بعد قليل أضاف :

ـ « سوف أجد بعض (الفتوات) كى يساعدونى على طرد هؤلاء .. نعم .. سوف أبقى يدى نظيفة .. »

ووضع سماعة الهاتف واستدار ليجدها واقفة خلفه فى قلق .. وجد أن التفسير من واجبه فقال :

ـ « إنها أسرة (عبد المنصف) .. أنت تعلمين أن البلدة ضيقة علينا معًا .. لقد اغتصبوا القيراط الذى لدى فى (السنبلاوين) .. ومعنى هذا أنهم يعلنون الحرب .. »

ـ « ولكن يا أبى .. لا تلطخ يدك .. »

ـ « لن ألطخها .. سأفعل كل شىء من دون أن ألطخها .. سوف يساعدنى (عدلى) المحامى فى هذا .. سنحرك الخيوط عن بعد .. ولسوف يدفعون الثمن غاليًا .. (عدلى) يقول إن إجراءات التقاضى سوف تستغرق وقتًا طويلاً .. إن العدالة حذرة تخشى الخطأ .. لهذا هى بطيئة .. سأنفذ عدالتى الخاصة .. »

لم تكن هذه أول مرة تسمعه فيها يتهدد هؤلاء القوم .. إن العلاقة بين الأسرتين تشبه على حد ما العلاقة بين القط والفأر .. لا بد أن الخلاف بدأ فى زمن سحيق .. لا تعرف تفاصيله .. لكنها كراهية عمياء بحق ..

قرع الأب جرسًا .. بعد دقيقة ظهر (عنتر) ..

(عنتر) هو البواب الأسمر .. يعيش فى غرفة صغيرة بالحديقة مع والدته العجوز .. ويصعب أن أصفه لك .. إنه أقرب إلى جدار أسود من العضلات .. كل عضلة محددة ومرسومة بوضوح تام .. قامة فارعة .. عينان يتناقض بياضهما بشدة مع الجلد الأسود حولهما مما يعطيهما بريقًا

مرعبًا .. هذه نظرة تنذر بقطع الرقاب ، لكنها تحمد الله على أنه فى صفهم وليس ضدهم .. الرقاب رقاب أخرى غالبًا ..

يدخل من الباب فى تؤدة .. جلبابه أبيض نظيف وفى حركاته كبرياء تشى بأنه ليس ممن يخافون ولى نعمتهم .. إنه يتلقى النداء كأنه من ند له ..

ـ « أفندم يا (منصور) بك .. »

لم ينظر الأب للوراء .. لقد وقف حيث هو أمام جهاز الهاتف .. وحانت منها نظرة على العملاق المخيف فوجدته ينظر لها منتهزًا فرصة أن أباها لا يراه .. نظرة غريبة هى أقرب إلى الحنان وإن كان صعبًا أن يجعل الحنان يتشكل فى هاتين العينين الناريتين .. نظراته مربكة بحق .. ذكرتها بنظرة فهد ينظر لك من بين الأحراش ..

قال الأب وهو ينظر إلى الهاتف :

ـ « (عنتر) .. أنا بحاجة إليك .. »

ـ « أنا خادمك يا (منصور) بك .. »

كلا .. ليس خادمه .. النبرة التى يتكلم بها تدل بوضوح تام على انه لا يعتبر نفسه خادمًا لأحد .. لكنها المجاملة .. (لست خادمك يا منصور بك بل أقول هذا مجاملة لك .. وإن كان بوسعى أن أحيل رأسك إلى دقيق) .. هذه هى الترجمة الصحيحة ..

قال الأب :

ـ « أسرة (عبد المنصف) .. لقد استولوا على القيراط الخاص بى .. لا أجد الحل القانونى ممكنًا .. لهذا فكرت فيك .. »

ـ « تحت أمرك يا (منصور) بك .. »

ـ « سوف تجمع عددًا من الرجال مثلك .. هل تفهم ؟ مثلك .. أى أنهم لا يخافون من الجان .. أريدك أن تذهب إلى هؤلاء الأوغاد لتذيقهم الويل .. بمجرد طردهم سوف نبنى سورًا حول قطعة الأرض ونعين خفيرًا مسلحًا لحمايتها .. هل هذا مفهوم ؟ »

ـ « مفهوم يا (منصور) بك .. »

ـ « متى تفعل ذلك ؟ »

ـ « اليوم إن أردت .. »

- « بل أريد ذلك الآن .. »

تحرك (عنتر) لتنفيذ المهمة فاستوقفه الرجل :

- « لحظة .. هل ستحمل سلاحًا ؟ »

- « فقط بعض العصى .. »

- « لا أريد قتلى .. هذا مفهوم طبعًا .. »

- « لا تقلق يا (منصور) بك .. »

- « هل تحتاج إلى مال من أجل الرجال ؟ أو من اجل استئجار سيارة ؟ »

- « لا يا (منصور) بك .. عيب .. هؤلاء الرجال الذين سيأتون معى يفعلون هذا لأنهم يخدمون (عنتر) .. ومن هؤلاء الرجال من يملك سيارة نصف نقل .. »

- « جميل .. جميل .. »

استدار (عنتر) للرحيل فاستوقفه الرجل من جديد :

- « (عنتر) .. »

- « نعم يا (منصور) بك .. »

- « شكرًا على كل شىء .. »

- « لن نفعل إلا الواجب .. والآن أرجو أن تأذن لى .. سوف أحتاج لعدة ساعات حتى أجمع الجميع .. سوف نستغل الليل لنهجم .. »

- « ليكن .. »

بعد انصرافه وجد الأب أن عليه أن يقدم لها تفسيرًا فقال وهو يشعل لفافة تبغ :

- « أنا لن أترك حقوقى .. لو فعلت هذا فلست جديرًا بأن أكون أباك .. أنا ادافع عن أرضك .. »

لم ترد .. كانت تمقت العنف بجميع أشكاله ، لكنها كذلك كانت تفضل أن تترك هذه الأمور للرجال ..

★ ★ ★

فى غرفتها ليلاً ..

غرفتها رقيقة جديرة بأن تكون غرفتها .. طبعًا هناك ستائر شفافة .. الكثير منها .. هناك دببة (تيدى) أو بلساننا نحن (دباديب) .. الكثير منها .. يبدو أنها تعشق سماع (كاظم

الساهر) على الأرجح .. هناك عصفور جميل فى قفص .. الغرض منه أن تتأمله وتبكى وتتمنى أن يستعيد حريته لكنها لا تفعل ذلك أبدًا ! هناك مرآة تخبرها كل يوم أنها أجمل فتاة على ظهر الأرض ..

تمشى فى غرفتها شاعرة بالقلق ..

هذا هو الوقت بالضبط ..

لقد تأخر ..

فجأة تسمع صوت الصفير من الحديقة فتهرع إلى الشرفة .. تراه هنالك واقفًا فى الظلام ينظر حوله فى حذر .. إنه ينتظر فى هلع اليوم الذى يربى فيه أبوها كلبًا .. دعك من أنه يخاف (عنتر) البواب لأن هذا لو أمسك به لاستعمله خلة لأسنانه ..

إنه نموذج العاشق الضعيف الرقيق المتهافت .. أقرب إلى الأنوثة نوعًا لو قارنته بواحد مثل (عنتر) .. أو أبيها كتلة الرجولة المتجمدة فى بذلة .. لكنها بشكل ما تشعر أنه قريب إلى قلبها ..

(رامى) ..

الحفل .. الأضواء .. صديقاتها يمرحن حولها فى حركات تحوى ٨٠٪ من التمثيل و ٢٠٪ من البراءة الطبيعية .. إنهن فى سن الزواج وقد خرجن للقنص ، فالحفل يحوى مجموعة من الشباب .. هذا زفاف صديقتها (رانية) .. يضحكن بافتعال .. يفكرن بافتعال .. يتكلمن بافتعال .. وقد دنت من (دينا) صاحبتها لتكلمها فراحت الأخيرة ترد عليها .. لحظات ثم فطنت (غيداء) / (عبير) إلى أن (دينا) لا توجه لها كلمة واحدة من كلماتها .. إنما كل كلماتها موجهه إلى العيون التى تراقبها .. هكذا تركتها شاعرة بخيبة أمل ..

وذلك الفتى الذى يقف جوار العريس متظاهرًا بالسعادة .. إنه يقف فى وضع استعراضى مفضوح كأنه عارض أزياء ، وعلى وجهه ترتسم تعبيرات متتابعة من الاهتمام .. الحزن .. الفرح .. الخطورة .. واضح طبعًا أنه لا يبالى بالعريس لحظة وكل اهتمامه هو أن يظهر للبنات كم هو فاتن .. يبدو أنهم خرجوا للقنص كذلك ..

ذلك الرجل ضخم الجثة .. ذلك الفتى كبير الأنف .. ذلك الفتى كث الشارب .. تقتحمهم عيناها بسرعة .. فقط ذلك

الفتى الرقيق الخجول كان يقف بعيدًا .. يتابع الحفل بطريقة من يجلس على البحر لكنه يخشى أن تبتل قدماه .. (زهرة حائط) كما يقول التعبير الإنجليزى ..

التقت عيناه بعينيها فرأته يتحرك ببطء نحوها .. دخلت الشرفة المظلمة فمشى وراءها .. ووقف على الباب بحيث سد عليها سبيل العودة للداخل ..

أطرقت برأسها .. رباه ! إنه جريء ! ..

قال بصوت رقيق بعد فترة صمت :

ـ « إن تنتهك يدى الحقيرة تأثمًا هذا الحرم المقدس .. فإن شفتى هاتين جديرتان بأن تطهراه من مسها الخشن بقبلة يملؤها الحنان .. »

ما هذا الكلام الغريب ؟ لكنها وجدت نفسها ترد :

ـ « أيها الحاج الكريم .. إنك لتظلم يدك التى لم تزد عن أن قدمت بهذا نسكًا تقيًا .. فإن للقديسات أيديًا تمسها أيدى الحجيج .. ومس الراح للراح قبلة حاج طاهر .. »

ما هذا الذى تقوله ؟

قال لها باسمًا :

ـ « أليس للقديسات شفاه كما للحجاج أيضًا ؟ »

ـ « بلى أيها الحاج .. لهن شفاههن يؤدين بها الصلاة .. »

ما الذى أدخل الشفاه فى الكلام ؟ هذه (قلة أدب) .. ثم من هو الحاج ؟ أحيانًا نستعمل لفظة (حاج) للدلالة على الأب أو صاحب المكان ، فهل ينطبق هذا على الفتى ؟

لكنها شعرت نحوه بميل شديد .. لا تنكر هذا .. إن لكلامه الغريب طابعًا ساحرًا متميزًا ..

(رامى) ..

(رامى عبد المنصف) ..

متى عرفت اسمه بالكامل ؟ لا تذكر ..

فقط تعرف أنه يظهر تحت شرفتها فى هذه الساعة .. فلو شعر به أبوها لفجر رأسه ، ولو شعر به (عنتر) لحوله إلى هامبرجر .. إنه شجاع برغم وهنه ..

هوذا يقف الآن ويناديها :

ـ « تكلم فى عليائك أيها الملك المشرق .. روعة ملاك بجناحين تراءى رسولاً من السماء .. ينظر إليه الناس بعيون مبهورة شاخصة حتى ليرى بياضها .. »

قالت له بصوت هو ذلك الهمس الصاخب :

ـ « (رامى) .. اخلع أباك وانبذ اسمك .. فإن لم تستطع فاقسم على الوفاء لحبى ولن أنتمى بعدها لأسرة (الفرجانى) .. »

هنا سمعت صوتًا من بعيد ينادي :

ـ « يا منصوربك !! »

نظرت للفتى فى لهفة فرأته يهرع ليتوارى بين الأشجار ..

هى تعرف صاحب الصوت .. إنه (عنتر) .. يبدو أنه عاد من مهمته بعد النجاح فيها أو الفشل .. ومن مصلحة الشاب ألا يتقابلا ابدًا ..

تسمع الباب ينفتح ..

ترى من أعلى (عنتر) يقف أمام باب البيت وعلى كتفه هراوة عملاقة ، وترى أباها يخرج له .. (عنتر) يوجه

نظرة عابرة إلى شرفتها كأنه يطمئن على أنها ما زالت موجودة ، ثم يوجه كلامه للأب بصوت عال :

ـ « لقد هاجمناهم على حين غرة .. كان معى الرجال وكلب ضخم .. كان المعتدون خمسة وقد راحوا يولولون كالنساء بينما نحن نوسعهم ضربًا .. ثم طردناهم ممزقى الأوصال إلى الخارج .. أعتقد أننى هشمت رأس اثنين منهم وحدى .. تركت ثلاثة رجال يحرسون الأرض وسوف أعد العدة غدًا لبناء سور .. »

هتف الأب وهو يمد يده فى جيب الروب :

ـ « عفارم يا (عنتر) .. كنت أعرف أننى أستطيع الوثوق بك .. لحظة حتى .. »

يد العملاق القوية تمسك بيد الأب كأنها فكا تمساح :

ـ « ماذا تنوى عمله يا بك ؟ عيب .. أنا أفعل هذا من أجل العيش والملح .. »

ومد يده يوارب الباب وهو يغمغم :

ـ « تصبح على خير يا (منصور) بك .. »

أغلق الأب الباب وساد الظلام .. العملاق الأسوَد يمشى فى ظلام الحديقة .. تدعو الله ألا يتمتع بحاسة شم الكلاب أو بحاسة النساء السادسة وإلا ضاع (رامى) ..

كان تحت شرفتها بالضبط .. يعرف أنها تراه الآن بوضوح .. عندما قام بشىء غريب ..

وقف فى مكانه وهتف :

ـ « لم يكونوا خمسة .. كانوا عشرة وكادوا يفتكون بنا لكنى تذكرتك فاستطعت أن أجندل منهم أربعة .. »

ثم رفع يده كأنما ينشد الشعر وقال :

« ولقد ذكرتك والرماح نواهل

منى وبيض الهند تقطر من دمى

فوددت تقبيل السيوف لأنها

لمعت كبارق ثغرك المتبسم »

ثم انصرف ..

ما معنى هذا ؟ إنها تذكر هذه القصيدة فى كتاب محفوظات المدرسة .. وكانت تحبها بشكل خاص لكن كتاب الوزارة كان يحتم أنها رديئة (لأنه من المستحيل أن نقارن السيوف اللامعة ـ وهى شىء كريه ـ بثغر الحبيبة وهو شىء محبب) .. وصار محتمًا أن تعتنق هذا الرأى حتى لا ترسب فى اللغة العربية ، برغم أن رأيها الخاص كان يختلف .. من المؤثر أن تتذكر من نحب فى لحظات الخطر والموت .. هل يملى علينا كتاب الوزارة ما يجب أن نحبه ؟

لكن ..

دعك من آرائها النقدية ..

ما معنى أن ينشد البواب هذه القصيدة تحت شرفتها بالذات ؟

* * *

٤ـ الملل بعينه

كان الرجل ذو البذلة السوداء جالسًا على الفراش فى غرفتها عندما عادت من الشرفة ..

لا لم يكن جالسًا .. كان شبه مضطجع على كوعه يطالع مجلة أطفال تركتها هناك .. وكان غارقًا فى مغامرات (بطوط) حتى أنه لم يشعر بأنها تقف عند رأسه ..

لم تدر ما تفعل ولا ما تقول .. سوف تصرخ وتنادى أباها . ثم قررت أن تبدأ بتهشيم رأسه بالأباجورة على سبيل (التليين) ثم تصرخ بعدها ..

هكذا تناولت الأباجورة وهوت بها علىَ رأسه .. وفى اللحظة التى خضعت فيها الأباجورة لقانون الجاذبية وحسابات طاقة الحركة وطاقة الوضع بحيث صار من المستحيل إيقافها ، أدركت من هو ..

ـ « المرشد ؟! »

كراش ش ش !

تهشمت الأباجورة على رأسه وتناثر الزجاج فى كل مكان .. نهض مذعورًا وقال :

ـ « آى ! سأكون شاكرًا لو حرصت فى المرة القادمة على التأكد من شخصية من تريدين قتله .. »

لم يحدث له شىء وهذا طبيعى فى (فانتازيا) .. لذا راحت تجمع الزجاج المهشم وسألته :

ـ « ماذا أتى بك إلى هنا ؟ »

ـ « ليس حبًا فى جمال عينيك .. جئت أقدم لك بعض التفسيرات .. لكنك غير ودود على الإطلاق .. »

ـ « ضع نفسك مكانى .. فتاة تجد رجلاً فى غرفة نومها .. هل تقدم له البونبون ؟ »

قال وهو يعود لجلسته المريحة :

ـ « طبعًا أنت لم تفهمى أى شىء على الإطلاق .. خادم أسود اسمه (عنتر) لا يشق له غبار فى القتال وينشد الشعر .. وشاب اسمه (رامى) يقف تحت شرفتك وينشد الشعر .. »

قالت فى غباء :

ـ « مثل ذلك الأحمق .. (روميو) .. »

احمر وجهه غيظًا :

ـ « ليس مثل .. إنه هو (روميو Romeo) .. ألم تفهمى هذا بعد يا بلهاء ؟ ما دخل الكلام عن الحجاج فى ذلك الحفل ؟ القصة أن (روميو) كان متنكرًا بثياب حاج فى ذلك المشهد من مسرحية (شكسبير Shakespear) حينما قابل (جولييت Juliette) أول مرة .. اسمه (رامى) .. أليس هذا أقرب تنويع عربى على اسم (روميو) ؟ (رامى عبد المنصف) .. هل يذكرك اسم أسرته بشىء ؟ »

اتسعت عيناها رعبًا وهتفت :

ـ « لا تقل إن .. »

ـ « بل هو كذلك .. إن أسرته هى العدو رقم واحد لأسرة (الفرجانى) .. أسرة أبيك .. وماذا عن البواب الشاعر الأسود المدعو (عنتر) ؟ إنه يحبك فى صمت .. فماذا عن (عنترة بن شداد) ؟ »

هتفت :

ـ « مستحيل ! »

ـ « لا مستحيلات فى فانتازيا .. »

ثم نهض من على الفراش واتجه للشرفة وهو يقول :

ـ « أنت فى وضع فريد .. سوف يتقدم لك أشهر العشاق فى كل العصور يطلبون يدك .. كل واحد بطريقته .. وسوف يكون عليك أن تقررى أيهم الأفضل »

ـ « ومن قال لك إننى راغبة فى هذا الوضع ؟ »

ـ « هذه هى مغامرة (فانتازيا) اليوم .. »

ـ « هذا هو بالضبط ما فررت منه .. قلت لك إن هذا يجعل الحياة لزجة كئيبة بالنسبة لفتاة ترغب فى تركها وشأنها .. إن هذا هو الملل بعينه .. »

نظر لها طويلاً ثم غادر الغرفة قائلاً :

ـ « حاولى الاستمتاع بوقتك .. لن أغيّر المغامرة بعد لحظات من بدايتها »

هكذا تركها حائرة .. لكنها حيرة تأتى من الفهم لا من عدمه .. إذن هى ذلك المزيج الفريد من (عبلة) و(جولييت) .. ولكن .. هل انتهى الأمر عند هذا الحد ؟

★ ★ ★

فى السابعة مساء جاءت الطاهية تخبرها أن الكهربائى هنا .. كهربائى ؟ أنا طلبت كهربائيًا ؟ لم يكن أبوها فى الدار لذا توقعت أنه طلبه على الأرجح قبل أن ينصرف ثم نسى الأمر ..

قالت لها الطاهية العجوز :

ـ « لا تقلقى .. أنا معك .. »

نظرة واحدة على وجه الكهربائى جعلتها تلفظ مخاوفها ، فهو يبدو مهذبًا على درجة من الرقى .. كان يحمل حقيبة صغيرة وقد قال لها فى أدب :

ـ « والدك اتصل بى .. قال إن هناك ماسًا كهربيًا فى غرفتك .. »

لم يحدث .. لكنها لا تستبعد أن يكون هذا بسبب الأباجورة التى هشمتها على رأس المرشد .. ربما دخل أبوها الغرفة ولاحظ

شيئًا .. هكذا سمحت له بدخول غرفتها ووقفت على الباب تراقبه وهو يضىء النور ويطفئه .. ثم نظر إلى أعلى وقال للطاهية :

ـ « هل لديكم سلم ؟ أريد بلوغ هذا (البواط) »

هكذا انصرفت السيدة متثاقلة تدفع عربة بدانتها ، تبحث عن ذلك السلم ..

فما أن ابتعدت حتى وجدت الكهربائى ـ المزيف طبعًا ـ يفتح حقيبته ليخرج منها ورقة مطوية ويدسها فى يدها .. نظرت له متسائلة خائفة فقال :

ـ « أنا أدعى (سراج) .. أحضرت لك رسالة من سيدى (تامر) .. لا تقلقى .. سوف تفهمين كل شىء من هذه الرسالة .. »

هنا عادت الطاهية وهى تلهث من فرط جهد حمل السلم .. ساعدها ليضعه تحت (البواط) ثم اعتلى الدرجات .. وراح يعبث بالمفك قليلاً هنا وهناك ..

بوم ! .. هذه المرة حدثت (قفلة) فى مكان ما .. هذه أشياء لا يمكن اللعب فيها .. الظلام ساد المكان لكن مصباح النيون الاحتياطى أضاء تلقائيًا ..

قال فى توتر وهو يجفف عرقه :

ـ « لا تقلقى .. سأصلح كل شىء .. »

وراح يحاول إعادة الوضع إلى ما كان عليـه .. استغرق هذا ربع ساعة تقريبًا بينما الطاهية تمصمص بشفتيها .. لم تر قط كهربائيًا أغبى من هذا ..

فى النهاية عاد النور إلى الغرفة فتنهد الرجل الصعداء ونزل السلم .. ثم راح يضىء النور ويطفئه وفى حماس قال :

ـ « انتهت المشكلة ! »

أى أنه أتلف الكهرباء ثم أصلحها ..

بعد انصرافه فتحت (عبير) الرسالة الصغيرة وقرأت المكتوب فيها :

* * *

« حبيبتى ...

« هذه هى رسالتى الأخيرة التي يجلبها لـك خادمى (سراج) .. فعلاً لا مجاز فى هذا لأنـى ابتلعت علبـة كاملـة مـن أقـراص الكورتـيزون المنومـة .. علـى الأرجح لن تلحقى بى لكننـى أرحل على أمل أن نلتقى فى عالم آخر عادل .. يومها ستكونين لـى .. سـوف تعيشـين حيـاتك وتنعمين بها وسوف تنسين هذا الذى مـات من أجل نظرة واحدة بخلت بها ..

« ملحوظة : لو أردت أن ترينى قبل وفاتى فأنا موجود فى العنوان التالى ..

تامـر »

لم تتمالك نفسها من الرعب .. لماذا لم يتصل بها ؟ المسكين ! هذه هى مشكلة الجمال .. إنه يجلب التعاسة لمن يتعامل معه وبالتالى لصاحبه ..

كورتيزون ؟ متى سمعت هذا الاسم من قبل ؟ لكن من يبالى بعلم الصيدلة الآن ؟

إن أباها ليس هنا لكنه لن يسمح لها بأداء هذه المهمة الإنسانية .. سوف تذهب وحدها .. ولربما لم يتأخر الوقت بعد .. سوف تطلب الإسعاف ..

ولماذا لم يتصل ذلك الخادم الأحمق بالإسعاف ؟ لماذا أضاع كل هذا الوقت الثمين فى الخداع ؟

كانت تركض نازلة الدرج بسرعة البرق ..

وسألتها الطاهية وهى فى أعلى الدرج :

ـ « إلى أين يا بنيتى ؟ »

ـ « فيما بعد يا (سنية) .. فيما بعد .. »

تخرج من الباب .. إنها تحب تحاشى (عنتر) برغم أنه ليس من حقه أن يوجه لها أسئلة .. تشعر بشكل ما أن له

حقًا عليها .. لكنه ليس هنا لحسن الحظ وإلا لدخل مع الكهربائى .. أمه العجوز بالداخل لا تسمع ولا تتكلم ولا ترى .. ربما لا تتنفس كذلك ..

تجرى نحو سيارة تاكسى تمر أمام البيت .. ما أجملها وهى توقف التاكسى وشعرها الطويل يتطاير وراءها وتنورتها المنتفشة تهتز كأرجوحة .. تتخيل نفسها (ماجدة) أو (فاتن حمامة) فى واحد من تلك الأفلام القديمة ..

تثب فى التاكسى نحو العنوان المذكور ..

إنها شقة فى الطابق الثانى من بناية خالية .. تدق الجرس .. يفتح لها الخادم (سراج) الباب .. على وجهه نظرة حزينة وقور .. يقول لها وهو ينظر إلى الأرض :

ـ « أشكرك على سرعة تلبية النداء .. »

ـ « هل هو.... ؟ »

قال فى حزن :

ـ « اقترب جدًا .. »

ـ « وأنت واقف هنا مثل صنم (يغوث) ولا تفعل شيئًا ؟ »

- « لقد منعنى .. لا أستطيع أن أرفض له طلبًا »

شقة عادية جدًا .. من الغريب أن يكون لصاحب هذه الشقة خادم بهذه الأناقة .. لكن من يبالى بدراسة اقتصاديات الطبقة الوسطى الآن ؟

مرت جوار المطبخ وهى تبحث عن غرفة النوم ، فوجدت على الرخام مجموعة من الرموز التى علمتها السينما المصرية معناها .. دلو به زجاجة .. كأسان .. تفاح .. سكين .. ما معنى هذا ؟

غرفة النوم ..

هناك فى الفراش يرقد ذلك الفتى وهو يهمس من قبل أن يراها :

- « (غيداء) .. هاتوا لى .. (غيداء) .. »

دنت منه أكثر فرأت أنه وسيم .. وسيم فعلاً لكنها تلك الوسامة التى تجثم على روحك .. طراز الرجل الذى يطلقون عليه Womanizer .. كانت قد رأت فيلم (إنقاذ الجندى رايان) وشاهدت تتابع القتل الرهيب ، عندما كان النازى يجثم على صدر اليهودى ويصوب الخنجر إلى قلبه ،

وهو يهمس له بطريقة منومة شبه حنون . إلى أن غاب الخنجر فى صدره .. لقد تذكرت هذا المشهد الآن وهى ترى هذا الشارب الرفيع والنظرة الناعسة .. هذا وحش لا يبالى بمشاعر النساء .. بل هو لا يبالى بهن أصلاً لكنه يحب صيدهن ! أى أنه يحبهن لأنهن يرضين نرجسيته لا أكثر ..

لكن من يبالى بدراسة علم الفراسة وفن (الميزانسين) فى السينما الأمريكية الآن ؟

فتح عينًا واهنة ونظر لها فأشرق وجهه وهمس :

- « أنت هنا ؟ »

ومد يده يلمس يدها .. شعرت بأنها تلمس ضفدعًا لكن هذا الفتى يحتضر .. لا بد من أن تتحامل قليلاً ..

قال لها :

- « يبدو عليك الإرهاق ! »

- « ماذا ؟ »

وشعرت بالغيظ .. بينما أردف :

- « كنت أعرف أنك لن تتركينى أموت ظامئًا .. إذا مت ظمآنًا فلا نزل القطر .. »

من هذا العاشق ؟ من المستبعد أن يكون (أبو فراس الحمدانى) .. ثم نظرت للوراء فرأت أن الخادم يغلق الباب بذات التهذيب ! هنا احتشدت حواسها .. وبدأت تتذكر ..

كورتيزون ؟ متى سمعت هذا الاسم من قبل ؟ لا يوجد منوم بهذا الاسم .. تذكر أنه مضاد التهابات على الأرجح لأن أمها كانت تتعاطاه .. بل هو مضاد التهابات ولم تسمع قط عن واحد انتحر بابتلاعه .. زجاجة وتفاح .. هذا الوغد ليس لزجًا فحسب بل هو فاسق كذلك .. ثم ماذا عن لون وجهه المتورد المتفجر بالصحة ؟ لو كان هذا يحتضر فأنا ميتة منذ أعوام ..

انتزعت يدها فى عصبية فجلس ليقول بحنان مثير للتقزز :

ـ « لماذا لا تتركين لى أى شىء منك ؟ »

هى الحمقاء .. وكان عليها أن تتذكر هذا المشهد الخالد فى السينما المصرية .. فقط اعتقدت أنه لا يحدث بهذه الفجاجة فى الواقع .. إنه أسخف من أن يكون خدعة .. لكنها فى (فانتازيا) حيث يتصرف زير النساء بهذه الطريقة الساذجة فعلاً ..

نهض أكثر ليحاول منعها من الابتعاد فالتقطت الأباجورة جوار فراشه وتوكلت على الله ..

كراش ش ش ش !

يبدو أن مغامرتها هذه المرة لن تزيد على تحطيم الأباجورات طيلة القصة .. لكن هذا الفتى لم يكن المرشد . لقد هوى فاقد الرشد والدم ينزف من رأسه ..

نهضت وغادرت الغرفة فى حزم .

قال لها الخادم الواقف على الباب وهو مصر على الاستمرار فى تمثيل دوره :

ـ « هل .. هل مات ؟ »

ـ « غالبًا ! بحق هذه المرة ! »

ووجهت له ركلة عنيفة فى قصبة ساقه .. فانحنى كما هى العادة وهو يئن .. هنا انهالت بسيف يدها على مؤخرة عنقه لينحنى أكثر .. ثم رفعت ركبتها لتدسها فى فم معدته ..

وسرعان ما كانت فى الشارع وهى تسب وتلعن ..

تاكسى .. تاكسى .. لا بد أنها فى (فانتازيا) فعلاً لأن سيارات الأجرة تتوقف بسهولة ..

كان سائق التاكسى يبدو مألوفًا لها من الخلف .. فلما دققت النظر اكتشفت لدهشتها أنه المرشد .. قالت فى غيظ :

ـ « إن مغامرتك تفعمنى حبورًا .. »

قال لها وهو يواصل القيادة :

ـ « لمه ؟ لقد خضت الموقف ببراعة ، وهذه هى طريقته فى خطب ود المرأة على كل حال .. لقد جربت (عنترة) و(روميو) وجاء دور هذا .. ودعينى أؤكد لك أنه سيحاول مرارًا .. هذا الطراز من الرجال كالذباب تذبينه فيعود .. »

ـ « وهذا الخادم المثير للتقزز ؟ كل هذا الوقار وكل هذه الكبرياء .. بينما مهنته لا تزيد على مهنة أتعفف عن ذكر اسمها .. هل لا يجد عملاً آخر إلا تسهيل الرذيلة لسيده ؟ »

ـ « بالفعل ليس له عمل آخر .. بل إن هذا يروق له وهو يمارسه بنوع من الكبرياء والإخلاص التامّين .. إن (ليبوريللو Leporello) هو أشهر قواد فى تاريخ الأدب والفن .. ولسوف تشمين رائحة هذه الشخصية فى دور (حسن مصطفى) فى فيلم (مطار الحب) .. كان يحضر الحسناوات لسيده (فؤاد المهندس) ويستمتع بذلك ، إلى حد

أنه قدم استقالته يوم فكر سيده فى الاستقامة .. هناك قصة لـ (ستيفن زفايج Stephen Wzeig) اسمها (ليبوريللا) عن امرأة كانت تؤدى هذا العمل لسيدها بكل رضا .. »

ثم التفت إلى الوراء للحظة وقال :

ـ « هل حقًا أنت من الجهل بحيث لم تدركى أنك كنت فى حضرة (دون خوان) ؟ »

★ ★ ★

٥ ـ دون خوان دى ماركو وآخرون ..

كان المرشد يشرح لها بينما السيارة تشق طريقها وسط الزحام نحو دارها :

ـ « (دون خوان Don Juan) شخصية جاسوس أسبانى حقيقى .. وهو كما فهمت أنت وألعن .. إنه الرجل الذى لا يترك امرأة فى حالها .. على أن الحقيقة فى شخصيته اختلطت بالخيال لأن شخصيته الثرية راقت للفنانين .. إن هذا الطراز يروق للفنانين والنساء على السواء .. وإن كنت لا أفهم ماذا تراه النساء فى وغد كهذا لا يمكن أن يصون عهدًا .. »

قالت فى برود :

ـ « نفس ما يراه الرجال فى فتاة مائعة لا تستطيع أن تقلى بيضة أو تسكت رضيعًا يبكي .. »

لم يعلق .. فقط واصل الكلام :

ـ « هناك الصيغة التى حكاها البريطانى لورد (بيرون Byron) والصيغة التى حكاها الفرنسى (موليير Molière) ..

على أن الصيغة الأشهر هى التى حكاها (موتسارت Mozart) فى الأوبرا المعروفة .. سوف تجدين أن خادم (دون خوان) عند (موليير) هو (سجنارى Sganarelle) الخجول الذى تخزيه أفعال سيده المشينة ، بينما عند (موتسارت) هو (ليبوريللو) الفخور بما يفعله سيده .. عامة نمط (دون خوان) لا بد وأن يذكرك بوغد متبختر آخر يروق للنساء هو (جيمس بوند) .. كلاهما واسع الحيلة يفلت من كل موقف عسير ، وكلاهما لا يترك فتاة تنجو منه أثناء مغامراته .. لقد قارن نقاد كثيرون بين الشخصيتين .. »

كانت السيارة قد توقفت امام بيتها ، فقال لها :

ـ « هناك مغامر وغد آخر يشبه (دون خوان) .. إنه (جياكومو كازانوفا Casanova Giacomo) الذى كان مغامرًا ورحالة ولم يترك أية فتاة فى حالها ، وقد خطر لى أن أضعه فى القصة ثم وجدت أنه تكرار لا يخلو من الإملال .. دعك من أن الأسماء ستختلط عليك وستصير مغامرتك بالغة التعقيد »

ثم تذكر شيئًا فأضاف :

- « كونى حذرة .. كفى عن لعب دور (ماجدة) فى الأفلام القديمة .. إن العالم مكان خطر .. »

وانطلق بالسيارة دون أن يطلب أجرًا .. طبعًا .. من حقها بعض الامتيازات فى هذا العالم كما يفعل أى موظف بالسكة الحديد عندما يستعمل قطاراتها ..

★ ★ ★

كان أبوها جالسًا يقرأ فى الصالة فلما رآها قال فى صرامة :

- « أين كنت يا (غيداء) ؟ لم تقولى إنك تنتوين الخروج .. أضيفى لهذا أن الإرهاق باد عليك ! »

كنت مع (دون خوان) .. قالتها فى سرها طبعًا .. كيف لو عرف ! كان يصحبها دائمًا فى كل مرة تخرج فيها إلا فيما ندر .. كان هذا الجمال الصارخ يحرقه ويعذبه .. ربما لو كانت أقبح قليلاً ..

قالت وهى تنزع حذاءها :

- « صديقة لى كانت مريضة .. لم أستطع الانتظار حتى .. »

كان ينظر لها فى ثبات وأدركت أن ملامح وجهها ستخذلها .. جرس الباب أنقذها فهرعت فى خفة تفتحه .. لكن الأب استوقفها واتجه ليفتحه بنفسه .. لم يكن يطيق أن يرى أى شخص شيئًا منها حتى قدميها الحافيتين ..

سمعت صوته يقول :

- « (قاسم) ؟ تعال .. أين رفاقك ؟ »

وسمعت صوتًا خافتًا يقول :

- « لم أكن معهم يا عمى .. فى الحقيقة جئت أطلب شيئًا .. »

بعد دقيقة عاد أبوها ليقول لها بلهجة عابرة وهو يستعيد جريدته :

- « هذا (قاسم) ابن عمك .. يبدو أنه يريد تناول عشائه وأسطوانة البوتاجاز فارغة فى هذه الساعة .. عندنا أسطوانة احتياطية وقد جاء يستعيرها ! »

يستعير أنبوب البوتاجاز ؟ هذا غريب ..

إن بيت عمها يقع فى أول الشارع .. وهى لم تر عمها كثيرًا لكنها قابلت (قاسم) .. وقد تحاشته لأنه يحمل فى عينيه ذات النظرة التى سئمتها .. إنه يهيم بها كالعادة ..

دخل أبوها غرفته .. بينما جاء (قاسم) .. كان ناحلاً رقيقًا يذكرها بـ (رامى) نوعًا .. لكن على سحنته تلك النظرة (السهتانة) المائتة الخائرة .. كما يقول الساخر الأعظم (بيرم التونسى) عن شاب مماثل : « مستقتل وفى حاله وهادى . كده زى المعزة السهتانة »

باختصار كان يحمل كل الصفات التى تنفرها منه .. ثمة شىء فيه يوحى بالأنوثة أكثر منه بالرجولة .. من الصعب أن تقبل فكرة الرجل الذائب فى الحب إلى هذا الحد ..

لكنها قامت بالواجب :

- « (قاسم) ابن عمى عندنا ؟ يا مرحبًا يا مرحبًا .. »

قالتها ساخرة مقلدة (أسمهان) فى أوبريت (عبد الوهاب) الشهير. وفجأة فطنت للحقيقة ! إنه هو ! وشعرت برجفة .. إذن هى الآن (ليلى العامرية) وهو (قيس بن معاذ) أو (قيس بن الملوح) عاشق العرب رقم واحد !

صاحت منادية الطاهية :

- « عفـ .. أ .. سنية .. أحضرى أسطوانة البوتاجاز الفارغة لابن عمى .. »

لو كان هو فإن كل حججه ملفقة .. حجة طلب أسطوانة البوتاجاز تبدو سخيفة بما يكفى .. وجلس الفتى دون أن يرفع عينيه عنها .. يده تمتد لاشعوريًا إلى مطفأة التبغ .. كانت هناك لفافة تبغ لم يحسن أبوها قتلها .. فوجئت بالفتى يضع يده على اللفافة فشمت رائحة اللحم المحترق ..

صرخت :

- « ويح (قيـ .. أ .. ويح (قاسم) .. لقد احترقت راحتاه !! »

قال بصوت ناعم :

- « (غيداء) ! »

- « خذ الحذر .. »

قال لها وهو يبعد يديه :

- « يبدو عليك الإرهاق .. لا أعرف السبب لكن .. »

- « سأكون شاكرة لو لم تذكر هذه العبارة ثانية ! »

- « لقد قمت بكتابة بعض الشعر .. أهديه لك .. »

ثم مد يده فى صدر قميصه ليخرج ألعن رزمة ورق رأتها فى حياتها .. فى حجم كتاب (رأس المال) بالنسبة لخريجى الاقتصاد والعلوم السياسية ، أو تشريح (جراى) بالنسبة لخريجى الطب ، أو كتاب (الوجود والعدم) بالنسبة لدارسى الفلسفة .. تبًا ! إنه يريد قراءتها الآن !

قال وهو يسبل عينيه :

« حبيب نأى عنى الزمان بقربه فصيرنى فرداً بغير حبيبِ

فلى قلب محزون وعقل مدله ووحشة مهجور وذل غريبِ

فيا عقب الأيام هل فيك مطمعٌ لرد حبيب او لدفع كروبِ »

هزت رأسها مجاملة بمعنى أن هذا رائع .. فواصل الإنشاد :

« تذكرت (غيدا) والأيام الخواليا

وأيام لا نخشى على اللهو ناهيا

فقال بصير القوم وألمحت كوكبا

بدا فى سواد الليل فردًا يمانيا

فقلت له بل نار (غيدا) توقدت

بعليا تسامى ضوؤها فبدا ليا »

بدت لها القصيدة مألوفة وإن لاحظت أن اسم (ليلى) قد تم استبداله ليكون (غيدا) .. وإن سبَب الأخير بعض الكسر فى الوزن .. المشكلة هى أنها لا تعرف كيف تخرسه .. لو كان معها إصبع ديناميت فلربما .. ..

ـ « الأسطوانة يا ستى ! »

كان هذا هو الغوث المطلوب ، فهرعت تفتح له الباب فى حماس .. هكذا حمل الأسطوانة عن (سنية على كتفه الهزيلة) وهو يلهث .. المشكلة أنه لن يصنع بها شيئًا .. لكم جاء بأسباب ملفقة وعليه أن يدفع الثمن ..

هنا جاءته النجدة فى صورة (عنتر) البواب الذى قابله على الباب فتناول منه الأسطوانة ليحملها بيد واحدة كأنه يحمل جريدة ..

ـ « عنك يا أخى .. »

أغلقت الباب سعيدة بانتهاء هذا السيرك لولا أن سمعت خلف الباب (قاسم) .. أنت تعرف أن بعض ترددات الهمس تكون عالية جدًا حتى تقترب من الصراخ :

ـ « أنا لست أخاك فكف عن هذا .. »

البواب يقول فى ثقة :

ـ « بل أنت أخى وأبوك أبى .. كف أنت عن إنكار الشمس .. »

هنا انتصب شعر رأسها .. (عنترة بن شداد) قضى حياته يكافح كى يثبت نسبه لأبيه (شداد) الذى أنجبه من جارية سوداء .. كان العبد يُنسب لأمه وقصة (عنترة) هى كفاح مضن من أجل الحرية قل مثيلها فى الأدب العالمى .. كفاح مضن حتى يصير قادرًا على طلب يد (عبلة) التى شبب بها ..

نفس الشىء يتكرر هنا (عنتر) البواب يصر على أن أبا (قاسم) ـ عمها ـ هو أبوه .. ومعنى هذا أن يصير (عنتر) ابن عمها .. ولكن كيف ؟

المحادثة تستمر :

ـ « أكرر للمرة الألف .. أبوك تزوج أمى سرًا ولكن على سنة الله ورسوله .. أحبها ولم يستطع أن يواجه كبار أسرة (الفرجانى) بحقيقة أنه أحب خادمته .. تزوجها وأنجبانى .. (منصور) بك لم يرد أن يترك من كانت زوجة

أخيه وابنها فى الشارع .. منحهما المأوى على أن وضعنا ظل وضع البواب وأمه .. لكنى سأكافح كى أبرهن للعالم عن الحقيقة .. (منصور) بك هو عمى وليس مخدومى .. »

ـ « اخرس يا أحمق .. لا أريد أن تكرر هذه الترهات .. »

ـ « لو لم تكن أخى لحطمت رأسك هنا والآن .. (عنتر) فتح رءوسًا كثيرة لكلمات أقل من هذه بكثير ، لكنك أخى ولك أن تنعم بهذه المزية »

الصوتان يبتعدان ..

هى الآن تفهم حرص (عنتر) على إثبات نسبه .. أن تكون هى ابنة عمه لأمر يختلف عن أن تكون ابنة مخدومه .. هذا يقربه منها خطوةً بل خطوات ..

لكن محاولته بلا جدوى .. أبوها سيرفض بتاتًا أن تتزوج البواب حتى لو كان ابن أخيه . أبوها يعرف السر لكنه لم يلمح به .. لم يسمح لـ (عنتر) يومًا بأن يناديه (عماه) .. لم يلمح لها بالقصة قط .. لقد اتخذ قراره منذ زمن .. ربما و(عنتر) بعد جنين فى بطن أمه ..

الآن تفهم سر العلاقة الغريبة بين أبيها و(عنتر) .. علاقة ندين .. علاقة عم وابن أخيه .. نعم .. هى كذلك ..

★ ★ ★

إذن ابن عمها هو (قيس) وهو فى الوقت ذاته أخو (عنترة) غير الشقيق .. بينما يتسلل (روميو) كل ليلة تحت شرفتها وينصب لها (دون خوان) أحابيله !

ترى هل تلقى (جميل بثينة) و(كثير عزة) ؟ لا تعتقد هذا .. إنهما تكرار لـ (قيس) بشكل أو بآخر .. لن يظهرا لذات الأسباب التى منعت (كازانوفا) من الظهور .. إن واحدًا من كل نوع يكفي ، والجزء يدل على الكل ..

إن هذا هو الملل بعينه .. لا شك فى هذا ..

ثم ماذا بعد ؟

★ ★ ★

٦- هو بالذات ؟

- « (قاسم) ابن عمك مدله بك .. »

قالها أبوها وهو يضيف بعض الخضر للأرز على مائدة الغداء ..

همهمت بمعنى أنها تعرف .. ماذا يريد من هذا ؟ إن بعض الآباء يعتبرون كون الفتاة لابن عمها مسألة بديهية .. فهل يفكر فى هذا ؟

أردف الأب مفكرًا :

- « إنه ثرثار اكثر من اللازم .. لا أكره شيئًا فى حياتى قدر العاشق (الخفيف) »

- « خفيف ؟ »

- « نعم .. غير ثابت الجنان .. لا يطيق أن يحب من دون أن يملأ الدنيا صراخًا ...هذا يشعرنى بأنه شخص غير متأكد من حبه لهذا يبنى له كيانًا وهميًا من الكلمات وثرثرة الناس .. انظرى .. »

ولوح بمجلة شبابية شهيرة كانت على المائدة وقال :

ـ « فى نفس المجلة مشكلة فى باب (مشاكلك العاطفية) تحمل توقيع (ق. ف) .. يحكى فيها عن حبه لابنة عمه (غ) رائعة الجمال لكنها لا تهتم به .. ثم هنا فى باب كتابات القراء .. »

وفتح صفحة أخرى من المجلة وقال :

ـ « قصيدة للشاعر الشاب (قاسم الفرجانى) .. يقول فيها : تذكرت (غيدا) والأيام الخواليا .. وأيام لا نخشى على اللهو ناهيا .. إن المحرر نشرها وإن كان ينصحه بدراسة أوزان الشعر وقراءة الكثير منه لأنه ما زال فى أول السلم ! »

كادت (عبير) تنفجر ضحكًا .. المحرر يتلقى قصيدة من أهم قصائد (قيس بن الملوح) وإحدى درر الشعر العربى ، لكنه لا يعرف ذلك فيطالب ناظمها بالمزيد من الدراسة ! عندما تقدم (شارلى شابلن) متنكرًا للاشتراك فى مسابقة لتقليد (شابلن) كان ترتيبه الخامس ! (زكى مبارك) أرسل فى شبابه قصيدة لمجلة (المقتطف) فرفضتها لأنها دون المستوى .. فلما صار (الدكاترة زكى مبارك) ـ كما كان يطلق

على نفسه ـ أرسل ذات القصيدة بلا أدنى تعديل إلى نفس المجلة ، فخرج العدد التالى منها وعلى غلافه (نحن ننفرد بنشر آخر قصيدة للدكاترة زكى مبارك .. درة جديدة فى عقد الشعر العربى) ! هكذا الأمور دائمًا !

هنا ألقى الأب بالمجلة فى اشمئزاز وهتف :

ـ « ما هذا الهراء ؟ أيذكرك بالاسم ؟ هذا الفتى يعانى حالة زكام عاطفى حاد .. أنفه يسيل بلا أمل فى أن يتوقف .. وهذا معناه شىء واحد : لن أسمح له بكتابة بيت شعر آخر عنك ولن أسمح له بأن يراك ثانية .. إن تقاليد أسرة (الفرجانى) تقضى بأن من يشبب بفتاة من فتياتها لا يتزوجها أبدًا وإلا ظن الناس بنا الظنون .. »

كانت تتوقع رد فعل كهذا .. وبدا لها عادلاً بلا شك ..

نهض الأب وقال وهو يبتعد :

ـ « بالمناسبة أرجو أن تنامى قليلاً .. لا أعرف لماذا يبدو عليك الإرهاق ! »

* * *

عندما جاء المساء سمعت الصوت من تحت الشرفة ..

اتجهت إلى هناك فرأته فى ضوء القمر .. (رامى) طبعًا .. ينظر لها مشرئبًا ثم يهتف :

ـ « سيدتى .. أقسم بهذا القمر المبارك الذى يصبغ بذوب الفضة أعالى كل هذه الأشجار .. »

هتفت من شرفتها :

ـ « لا تقسم بالقمر .. إن القمر لا يدوم على حال .. وهو فى فلكه يغير دورته كل شهر .. فإنى أخشى أن يكون حبك مثله متقلبًا .. »

ـ « بم يجب أن أقسم ؟ »

ـ « لا تقسم مطلقًا .. فإن شئت فلتقسم بشخصك الجميل .. »

لم تكن تفهم نفسها .. إنها تبادله عبارات (شكسبير) فهل هى تحبه ؟ أم هى تؤدى دورها المرسوم ؟ لا تنكر أنه أفضل الموجودين بالنسبة لها .. (عنترة) مخيف برغم أنه ساحر . (قيس) لزج .. (دون خوان) وغد ..

يقول لها الفتى :

ـ « إن اسمى أيتها القديسة العزيزة بغيض على .. لأنه اسم عدو لك .. ولو قد رأيته مكتوبًا لمزقت صورته »

ـ « إن أذنى لم تشربا بعد مائة كلمة ينطق بها لسانك .. لكنى على ذلك عرفت الصوت .. ألست (رامى) ؟ ألست (رامى عبد المنصف) ؟ »

ـ « لا هذا ولا ذاك إذا كان كلاهما يؤذيك .. »

هنا سمعت صيحة حازمة من ورائها ارتجفت لها ساقاها ..

كان أبوها يقف فى مدخل الشرفة عكس الضوء .. وساعد هذا مع غضبته على جعله يبدو أسطوريًا .. كأنه من عالم آخر يجول فيه الآباء الغاضبون فى الظلام ليذبحوا الفتيات ..

ـ « أبى ! »

وركضت إلى الداخل .. أما هو فخرج إلى الشرفة يبحث عن الفتى الذى رأى لمحة منه قبل أن يتلاشى .. أطل بجذعه من أعلى وصرخ :

ـ « (عنتر) ! (عنتاااااااااااار) ! »

جبل أسود فى ثيابه الريفية الداخلية .. بالفانلة والكلسون يركض وسط أشجار الحديقة .. هذا هو (عنتر) وعيناه تلمعان فى الظلام ..

- « (عنتر) ! واحد من أسرة (عبد المنصف) هنا فى الحديقة !! »

عينا (عنتر) تتسعان أكثر ثم يهرع إلى الفأس فيحملها وينطلق لا يلوى على شىء ..

يعود الأب إلى ابنته الباكية .. للمرة الأولى فى حياتها يفتح كفه ويهوى على خدها .. صفعة ثم صفعة ثانية :

- « الأولى لأنك تسمحين لفتى رقيع بأن ينشد الشعر تحت شرفتك .. الثانية لأنك لم تختارى بين البشر جميعًا إلا ابن (عبد المنصف) .. عدوى اللدود ! »

تكومت على نفسها وراحت تبكى ..

وسط شهقاتها تسمع (عنتر) ينادى من تحت الشرفة :

- « لا بد أنه هرب يا بك .. لم أجد إلا هذا ! »

★ ★ ★

٧- المخادع ..

برغمها هرعت تهبط الدرج مع أبيها .. لم يستطع فضولها تحمل فكرة أن هناك شخصًا آخر فى الحديقة غير (رامى) .. من هو ؟ لص ؟ فى هذا الوقت بالذات ؟

ثمة احتمال آخر مخيف .. إن (رامى) ليس بالنقاء الذى تحسبه ، وقد اصطحب معه صديقًا ليريه مدى براعته فى خداع الفتيات ..

كانت دامعة العينين ملتهبة الخدين دامية الكرامة ، لكنها مصرة على فهم ما يحدث ..

هناك كان الفتى يقف وقد ربطه (عنتر) بحبل غليظ .. كان قويًا بادى الكبرياء ممشوق القامة .. وكانت ثيابه أنيقة مهندمة .. ومن الغريب أن ثياب (عنتر) كانت ممزقة .. ثيابه التى كانت داخلية أصلاً صارت خارجية ..

قال الأب :

- « لقد آذاك هذا الوغد يا (عنتر) .. »

قال (عنتر) وقد تخلى عن نغمة التفاخر الدائمة :

- « أعترف بأنه قوى .. لم ألق رجالاً فى قوتـه إلا فيما ندر .. إن زميله صغير الحجم كالفئران ، وكالفئران استطاع أن يتسلق السور ويفر .. أما هذا فقد وثبت عليه وهو يركض بين الأشجار وتبادلنا الصراع ، لكنه بحاجة إلى مزيد من الطعام كى يهزم (عنتر) .. »

دنت (عبير) أكثر من الفتى المقيد .. الأسد المقيد كما بدا لها فبدا منظره غريبًا .. لم تر أنفًا بهذا الحجم فى حياتها .. وكما يقول (ابن الرومى) الشهير بدقته وسخريته اللاذعة :

« حملت أنفًا يراه الناس كلهم

من ألف ميل عيانًا لا بمقياس

إن شئت كسبًا به صادفت مكتسبًا

أو انتصارًا مضى كالسيف والفاس »

هذا الأنف كان يبعد عينيك عن أية تفاصيل أخرى فى الوجه .. كأنك تحاول الاقتراب من رجل يصوب سيفًا نحوك .. لا توجد طريقة آمنة للاقتراب منه من دون أن ينغرس السيف فى بطنك ..

قال الأب :

- « هل أنت من أسرة (عبد المنصف) أم مجرد لص ؟ »

قال الفتى المقيد :

- « لا هذا ولا ذاك .. لكنى أنصحك باستدعاء الشرطة يا سيدى .. فأنا لن أتكلم .. »

لكزه (عنتر) بعنف وقال :

- « تكلم .. »

قال الأب فى عصبية :

- « أتكتفى بلكمه ؟ لم لا تصفعه على قذاله ؟ »

قال (عنتر) بلهجة قاطعة :

- « لا يا بك .. لقد كان شجاعًا وأنا لن أهينه وهو مقيد .. ربما يفضل أن نقتله على أن نهينه .. أنا أعرف هذا الطراز .. »

قال الفتى المقيد بذات الكبرياء :

- « أشكرك على هذا الكرم .. لكنى لن أتكلم .. أكرر هذا .. »

فكر الأب قليلاً :

ـ « يفضل أن نقتله على أن نهينه .. هذا مهم .. »

ثم مد يده لـ (عنتر) طالبًا مطواته .. طبعًا هناك مطواة فى جيب (عنتر) وأمام عينى (عبير) و(عنتر) المندهشتين فتح الأب النصل ثم راح يمزق ثياب الفتى .. يمزقها حتى صار عاريًا إلا مما يستر العورة ..

قال الأب :

ـ « لو لم تتكلم فلسوف يأخذك رجال الشرطة .. لكنهم سيأخذونك بهذا الشكل ولسوف (يزفك) الصبية فى الشوارع .. ربما وضعنا فوق رأسك بعضًا من أوحال الحديقة .. »

راح الفتى يتملص ..

ـ « أنت لن تفعل هذا .. أنا شاعر وأديب محترم .. »

لكن (عبير) كانت تعرف أن أباها سيفعل ذلك .. يستطيع أن يكون قاسيًا إذا أراد ..

قال الأب :

ـ « يمكنك أن ترحم نفسك وتقول من أنت .. »

صمت الفتى قليلاً وبدا كأنما هو متضايق من أنفه الضخم الذى لا يتركه لحظة .. ثم قال :

ـ « اسمى (سمير) .. أنا صديق (رامى) .. بما أننى شاعر موهوب فقد كان يستعين بى لأؤلف له ما يقوله للآنسة ! »

هتف الأب فى دهشة :

ـ « هذا أغرب شىء سمعته فى حياتى .. هل تعنى أنك كنت تمليه ما يقول كما يحدث فى الأفلام العربية الكوميدية ؟ »

ـ « بالضبط يا سيدى .. كنت أقف تحت شجرة قريبة وأهمس بالشعر وهو كان يردده بصوت عال .. »

أما (عبير) / (غيداء) فكانت ترتجف .. وتتذكر ..

★ ★ ★

فى الحفل : ذلك الرجل ضخم الجثة .. ذلك الفتى كبير الأنف .. ذلك الـ ....

دخلت الشرفة المظلمة فمشى وراءها .. ووقف على الباب بحيث سد عليها سبيل العودة للداخل ..

★ ★ ★

لماذا لم يدخل (رامى) الشرفة وراءها ؟ لأنه كان يقف على الباب بينما صاحبه يقف جوار باب الشرفة ويمليه ما يجب أن يقول .. يمكنها أن تتصور المشهد .. تعال يا صاحبى .. أنا معجب بهذه الحسناء التى دخلت الشرفة .. هلا قلت لى كلمتين أخاطبها بهما ؟

عندما كان (رامى) يقف تحت شرفتها كان (سمير) يقف بين الأشجار المظلمة ويهمس بذلك الشعر الذى خلب لبها ..

(رامى) لم يكن هو صاحب هذه الأشعار الرقيقة .. ربما أحبها حقًا لكنه كذوب مخادع .. صفتان فى الرجل لا علاج لهما هما الكذب والبخل .. لكن (روميو) كان صادقًا .. هذا مؤكد ..

أمر الأب (عنتر) بفك قيود الفتى وقال له :

ـ « سأطلق سراحك لأنك تبدو لى متورطًا فى هذه الأمور .. مجاملة قادتك إلى كارثة .. لكن دعنى أؤكد لك إننى لو رأيتك أو صاحبك هنا فلسوف تكون هذه الحديقة قبر من أراه .. »

هز الفتى رأسه ولم يبد متعجلاً للانصراف .. فقط هز رأسه ..

قال الأب :

ـ « أريد عنوانك ورقم هاتفك .. لربما طلبتك للشهادة يومًا ما. »

فى تعاسة أملى الفتى بياناته على الأب الذى دونها فى ورقة ثم سمح للفتى بالرحيل .. وهكذا اتجه لباب الحديقة ومعه (عنتر) ..

قال الأب فى غيظ :

ـ « ذباب ! أنا أكرههم جميعًا ! لو أنك كنت أقبح قليلاً لكانت حياتنا أفضل ! »

تذكرت (عبير) طفولتها .. عند بائع الأرانب انتقت تلك الأرنبة البيضاء الجميلة صغيرة الحجم ودفعت أمها الثمن وعادت بها للدار .. ظلت تلعب بها ومعها أيامًا .. وما أشد سادية الأطفال ! إنهم يعتبرون الحيوانات دمى صغيرة لا تشعر .. حتى جاء اليوم الذى ارتمت فيه (عبير) على الفراش بقوة ، ولم تدر أن الأرنبة تختبئ تحت الغطاء ! هكذا تحولت الأرنبة الحسناء إلى عجين ..

قالت أمها وهى تتخلص من الجثة :

ـ « لو كانت أقل جمالاً لعاشت أطول ، ولما لاقت كل هذا العذاب ! »

هذا ينطبق على كل شيء عرفته .. الوردة الأجمل تُقطف .. الأرنبة الأجمل تقتنى للعب .. الفتاة الأجمل لا تسلم من المضايقات .. أحيانًا ما يجلب الجمال الوبال على صاحبه ..

فى غرفتها أغلقت (عبير) الباب ..

كانت ساعتان قد مرتا على رحيل ذلك الشاب (سمير) .. لهذا قدرت أنه فى داره الآن .. مدت يدها إلى الهاتف وطلبت الرقم الذى لم تنسه بعد برغم أنه قاله همسًا وهو يلهث فى الحديقة ..

رنين متواصل .. لم يعد بعد ..

فجأة جاء صوته المميز يقول :

ـ « من ؟ »

ظلت صامتة حينًا ثم قالت :

ـ « أنا .. »

لم يسأل أسئلة أكثر .. فقط قال :

ـ « لم أتعرف الصوت أولاً .. ثمة إرهاق واضح فى صوتك ! لكن هل تذكرت الرقم بهذه السهولة ؟ »

ـ « أنا لم أتصل بك إلا لأعرف قصتك . لماذا قبلت هذا الدور ؟ »

ظل صامتًا .. ثم قال فى تعب :

ـ « صديق طلب منى أداء هذا الدور وقد قمت به جيدًا .. »

ـ « قمت به جيدًا أكثر من اللازم .. »

كانت تعرف أساليب الغزل الصناعى عند العرب .. حتى لو كتب الشاعر قصيدة عن حرب (داحس والغبراء) فلابد أن يبدأها بوصف الأطلال والحبيبة .. لكنها استطاعت أن ترى فى كلام هذا الفتى صدقًا يحرق .. ثم إنه وليد الموقف . أى أنه لم يسهر الليل ينظمه مع كوب من الشاى الأسود ..

قالت له بذكاء الأنثى :

ـ « هذا الكلام صادق .. أليس كذلك ؟ »

قال فى حسرة :

ـ « صادق أو كاذب . لقد انتهى الأمر .. »

- « لماذا فعلت ذلك ؟ لا تقل لى إنها خدمة لصديق .. »

فى النهاية تكلم .. كان يحبها منذ زمن بحرارة .. يحبها بصدق . لكنه لم يتصور أن تحبه ولم يتصور لمن يحمل أنفه العملاق أن يقع فى الحب .. هكذا ظل يدارى أسراره حتى كان ذلك الحفل .. لقد همس له (رامى) وهو يراها تدخل الشرفة :

- « (سمير) .. هذه الفتاة تسحرنى لكنى عاجز عن قول (كلمتان) لا تشبهان روث الماشية .. هلا ساعدتنى قليلاً ؟ أنا أعرف أنك (شاعرًا مفلقًا) والكلمات عندك توزن بالطن لا بالجرام ! »

الكلمات بين قوسين مليئة بالأخطاء النحوية ؟ ومن قال العكس ؟ .. تذكر أن (رامى) هو الذى يتكلم ..

شرح له (رامى) أن كل ما عليه هو أن يقف جوار باب الشرفة ويصغى للمحادثة ، ويهمس بكلمات مناسبة لكل موقف .. كان الكل مشغولاً باستعراض سحره لهذا لم يلحظ أحد وقفة الشاعر ذى الأنف الكبير جوار باب الشرفة متصلبًا .. يضع كفه على فمه ويهمس :

- « إن تنتهك يدى الحقيرة تأثمًا هذا الحرم المقدس .. فإن شفتى هاتين جديرتان بأن تطهراه من مسها الخشن بقبلة يملؤها الحنان .. »

لقد دبت الحرارة فى كلماته لأنه تخيل أنه يخاطبها فعلاً .. هكذا راح يرتجف وعيناه تدمعان .. أغمض عينيه وراح يتكلم بلا توقف ..

خرجت الحسناء بعد قليل وبعدها خرج (رامى) ليرفع إبهامه للشاعر بحركة معناها (إنت كده) .. تلك الحركة التى كان الإمبراطور الرومانى يسمح بها للمصارع الشجاع بالحياة .. ثم إن (رامى) فرك كفيه وقال لشاعرنا الحزين :

- « اسمع .. سوف أزورها فى حديقة دارها .. أريد منك ان تساعدنى .. تقف وسط الأشجار بينما أقف أنا تحت شرفتها .. طبعًا أنا لا أستطيع قول أى شىء لهذا سوف تساعدنى .. »

لماذا وافق ؟ ليس الأمر مجرد التزام نحو صديق .. الحقيقة أنه كان راغبًا فى ذلك .. لذا وافق على هذه المخاطرة ..

قال له (رامى) :

ـ « ليست لديهم كلاب . لكن هناك مشكلة خطيرة .. أولاً أسرتى هى الخصم الطبيعى لأسرتهم .. ثانيًا لديهم بواب هو ألعن من أى كلب وأسد وتنين معًا .. لكنى أعرف أنه يخرج ليلاً لشراء العشاء لأمه .. هذه هى فرصتنا .. »

وبدأت المغامرة ..

فى كل مرة كان الشاعر يقف تحت الأشجار وينشد الشعر الذى كان سيقوله لتلك الحسناء لو كان أنفه أصغر .. لو كان أقل قبحًا .. لكن الحظ كان عاثرًا فى تلك الليلة .. لقد نادى الأب البواب المرعب ، وعلى الفور فر (رامى) مبرهنًا على أنه وإن لم يقرض الشعر فإنه جدير بأن يكون بطل مصر فى العدو ..

هنا انتهى اعتراف (سمير) وصمت ..

قالت (عبير) :

ـ « إذن أنت و(رامى) كنتما تصنعان واحدًا كبيرًا مكتملاً .. ملاحة (رامى) مع حسن بيانك .. »

- « نعم .. ولحسن الحظ أننا لم نجرب ملاحتى مع حسن بيانه .. »

ـ « تصبح على خير .. »

ـ « تصبحين على خير .. حاولى أن تنامى فالإرهاق واضح فى صوتك ! »

ووضعت السماعة ..

لم تكن فى حاجة لتذكر اسم هذا العاشق ..

حتى برغم ذاكرتها الجوفاء فإنها لا تنسى هذه القصة ..

★ ★ ★

٨- لن أعود ..

(سيرانو دى برجيراك Cyrano de Bergerac) الفارس القبيح النبيل العاشق ..

إن (سيرانو) شخصية حقيقية ، لكن المسرحية الرائعة التى كتبها عنه الفرنسى (إدمون روستان Rostand) هى التى جعلته أسطورة .. هذا نموذج للأدب الرومانسى الفرنسى كما يمكن أن يتعلمه الدارسون .. إنه الشاعر الموهوب الذى يحب (روكسان Roxane) لكنه لا يجرؤ على مصارحتها .. وبدلاً من هذا يتطوع بتأليف قصائد الحب عنها لصديقه (كريستيان Christian) الذى يحبها بدوره .. طبعًا هى قصائد رائعة إلى درجة أنها توقع (روكسان) فى غرام (كريستيان) .. ويتعذب (سيرانو) أكثر .. ويكتب شعرًا أفضل .. إنها غريزة التفانى وتعذيب الذات .. كما كان المحكوم عليه بالإعدام يدفع بقشيشًا للجلاد فى إنجلترا قديمًا ..

(سيرانو) الأديب غريب الأطوار ، الذى اشتهر بقبحه وضخامة أنفه ، وبرغم هذا كان فارسًا وجنديًا شجاعًا ومبارزًا لا يهزم أبدًا .. وهو فى هذا يحمل بعض بصمات

شعراء الصعاليك العرب من أمثال (تأبط شرًا) و(عروة ابن الورد) .. يقال إن براعته فى المبارزة هى نتيجة لكثرة الساخرين من أنفه ..

فى القرن السابع عشر ، كان مفكرًا حرًا وقد كتب البذور الأولى لأدب الخيال العلمى عندما وصف رحلات خيالية إلى القمر والشمس .. يقول (آرثر كلارك) : « يجب أن ننسب لهذا الرجل أنه أول من فكر فى الصاروخ والمحرك النفاث » .. هناك يهبط على القمر حيث يخضع لمحاكمة تجريها الطيور ، وتهديه روح (سقراط) الذى يقول له : « أنتم معشر البشر تحسبون أن كل ما لا تفهمونه روحانى غامض أو لا وجود له .. » ..

يقال إن كتابات (سيرانو) هى التى ألهمت (سويفت Swift) كتابة رحلات جليفر .. وألهمت (فولتير) كتابة (ميكروميجاس) ..

وفى النهاية مات الرجل ميتة مهينة بعض الشىء إذ سقط لوح خشب على رأسه ..

* * *

إذن هذه هى القصة .. (روميو) يحبها لكنه كذاب .. يستعمل الأشعار التى كتبها (سيرانودى برجيراك) ويخشى الوقوع فى قبضة (عنترة بن شداد) .. بينما هذا الأخير يحاول إثبات أنه أخو (قيس) ! كل هذا على خلفية من ألاعيب (دون خوان) !

كانت فى فراشها تقرأ على ضوء الأباجورة الخافت عندما سمعت المشادة فى الطابق السفلى .. نهضت على أطراف أناملها وألصقت أذنها بالباب .. إن تحركاتها صارت محددة جدًا بعد موضوع (رامى) هذا لهذا تكره أن تخرج من غرفتها ..

كان الأب يصيح :

- « ما كان لك أن تطلب هذا الطلب .. إنها وقاحة ! »

صوت (عنتر) يتعالى :

- « لم أطلب إلا الحلال يا (منصور) بك .. »

إذن الأمر يتعلق بها .. سوف تندهش لو مر ربع ساعة فى هذا البيت من دون مشادة بسببها ..

(عنتر) يواصل الكلام :

- « أنا أخلص من خدمك .. ثم إننى ابن أخيك .. لو فكرت فى الأمر لوجدت أننى لا أطلب شيئًا لا يحق لى .. أنت تعرف أننى قادر على حمايتها .. »

هتف الأب بلهجة من لا يقدر على سماع المزيد :

- « كفى .. كفى .. لا أريد سماع حرف عن كونك ابن أخى .. لقد عطفت عليك أنت وأمك .. »

- « لو سمحت يا بك لا تذكر أمى »

- « .. لكن عندما يتعلق الأمر بمصير ابنتى فأنا أعتذر بشدة .. لن تتزوج ابنتى بوابًا أسود يتسلى بقتل الذئاب التى تحوم ليلاً حول البيت .. »

غضبة (عنتر) هائلة بحق :

« لئن يعيبوا سوادى فهو لى نسبٌ
يوم النزال إذا ما فاتنى النسب
إن كنتَ تَعلم يا نُعمان أنّ يدى
قصيرةٌ عَنكَ فالأيامُ تنقلب
إن الأفاعى وإن لانَت ملامسها
عند التقلب فى أنيابها العطب »

الأب يسأله :

ـ « عم تتكلم؟ .. كلمنى بالعربية ! »

ـ « أنا بالفعل أتكلم العربية يا (منصور) بك .. أتكلم أفضل صورة لها .. أقول إن سوادى هو دلالة نسبى .. هذه القصيدة كتبتها لتهديد (النعمان) لكنها مناسبة .. والآن يا (منصور) بك أو يا عمى .. ما دمت تعتبر انتسابى للأسرة عارًا فأنا راحل .. سآخذ أمى معى وأرحل .. »

ـ « إلى أين يا أحمق ؟ »

ـ « بلاد الله واسعة .. لكنى لن أبقى هنا دقيقة أخرى .. »

ـ « مجنون .. »

لكن بدا من الصوت أن (عنتر) غادر المكان فعلاً ..

شعرت بالدمع يحتشد فى عينيها .. إنه مخلص نبيل .. روح من أرقى الأصناف لكنها للأسف اتخذت سكناها فى جسد بواب لا يمكن أن يقبله أبوها عريسًا لها .. لا يوجد حل لهذه المعضلة .. ثم إنها تخافه فعلاً .. تثق فيه لكنها تخاف نظراته النارية وقوته الكاسحة ..

لقد خسر أبوها حليفًا قويًا ..

سمعت صوت خطوات أبيها فهرعت تندس فى الفراش ..

فتح الباب فرآها متيقظة .. جاء يجلس عند قدميها وفى عينيه نظرة ساهمة محزونة .. إن ما فقده ليس بالتافه ..

قال لها ساهمًا :

ـ « هناك من يدعى العقيد (عطا الله الأشمونى) .. ضابط جيش كريم النفس شهد الناس له بالصدق والشجاعة .. إنه فى الأربعين من عمره ولم يتزوج بعد .. وقد فاتحنى بصدد الزواج منك ! »

نظرت له فى صمت فقال :

ـ « وقد وافقت ! »

هتفت غير مصدقة :

ـ « لكنى لا أعرف عنه أى شىء .. كيف يا أبى ؟ »

قال بثقة وبلهجة قاطعة :

ـ « أنا أعرف عنه كل شىء وقد وجدت فى نفسى راحة لدى التعامل معه .. ثقى بى .. سوف ترينه غدًا ولسوف تعرفين أنه إنسان نبيل فعلاً .. »

(لقد حان الوقت أيتها المصيبة) .. هذا هو الجو العام للمشهد .. لقد تعب أبوها من مسئوليتها ومن شلال المعجبين .. يريد أن تتزوج ليلقى الحمل عن كتفه إلى كتفى رجل آخر ..

قالت محتجة فى وهن :

- « سنه متقدمة .. لا تنس أننى فى العشرين .. »

- « أعرف هذا .. لكن المثل الشعبى يقول (خدى شايب يدلعك .. ولا تاخدى عيل يلوعك) .. هذا الرجل يعرف كيف يحب وكيف يحمى من يحب .. إنه صورة أخرى لأبيك .. »

قالت له فى رهبة :

- « وكيف .. كيف يبدو ؟ »

ابتسم .. واهتز صدره من ضحكة مكتومة وقال :

- « مصادفة غريبة .. إنه أسود البشرة ضخم الجثة .. باختصار هو صورة متحضرة من ذلك الأخ (عنتر) ! »

* * *

٩ - هجوم فى الظلام ..

لم يكن (عطا الله) من الطراز الذى يلتهم الأطفال ويترنح فى الطرقات ممسكًا بزجاجة خمر .. كما أنه لم يكن يبصق على الأرض وبالتأكيد ليس من عبدة الشيطان .. باختصار لم تجد فيه عيبًا واضحًا يمنعها من الزواج به ..

حينما قابلته وجدت أنه بالفعل صورة من (عنتر) .. إنه رجل عسكرى فى الأربعين .. أنيق .. واضح تمامًا أن معلوماته عن النساء لا تزيد على معلوماتها عن الرجال ..

- « أنا رجل بسيط قضيت عمرى وسط الرجال و(صفا وانتباه) والضبط والربط .. لست أفضل عريس لفتاة مثلك لكنى أستطيع أن أكونه لو ساعدتينى »

كانت مطالبها بسيطة : فترة انتظار تقرر فيها .. لن ترفضه بقلب مستريح ولن تقبله بسلاسة .. لهذا لم يخبر الأب أحدًا بمشاريعه تفاديًا لإلحاح طالبى يدها .. فقط أخبر أقاربه ..

أخبر أقاربه ؟

فى هذا العالم المتداخل يغدو قرار كهذا كارثة ، لأن الخبر بلغ مسمع ابن عمها المجنون أصلاً (قاسم) .. كيف يكون وقعه على مجنون ؟ للأسف لم يشفه هذا على طريقة (نفى النفى إثبات) بل زاده جنونًا ..

وسمعت أخبارًا عجيبة عن خروجه من دار أبيه .. عن مشيه فى الشوارع بلا هدف .. عن أبيات الشعر التى لا يكف عن تأليفها .. عن لحيته النامية وثيابه الممزقة ..

آلمها هذا .. والأسوأ أنه زاد من تدهور سمعتها لأن الناس أطلقوا عليه (مجنون غيداء) ..

يحكون أنه يمشى فى الأزقة ويقول بصوت عال :

« بكى فرحا بغيدا إذ رآها

محب لا يرى أحدا سواها

لقد ظفرت يداه وطاب عيشا

لئن كانت تراه كما يراها »

لا بد أنه استبدل (غيدا) بـ (ليلى) فى الأبيات كما هى العادة .. من حسن حظه أن اسمها ليس (نجلاء)

أو (مهيتاب) وإلا سبب له هذا كارثة لأنه سيضطره إلى إعادة صياغة الأبيات بالكامل ..

وقال لها الأب عندما سمع بما حدث :

ـ « أرى أن الزواج صار ضروريًا .. يجب أن نعجل به .. »

★ ★ ★

فى الليل سمعت الأصوات ..

خرجت إلى الشرفة عالمة أن هذا ليس (رامى) .. لن يجرؤ على المجىء .. ولو جرؤ فلن تحدث قدماه صوتًا كأنه ألف رجل .. رأت هذه الأشباح تثب من فوق السور ..

كان أول ما رأته هو هذا البريق ..

دققت النظر فأدركت أن سيارة أبيها الواقفة فى الحديقة تشتعل ... الدخان يتصاعد منها ..

صرخت ونزلت فى الدرج مسرعة .. كان أبوها هناك وقد سمع الضوضاء بدوره وكان يحشو مسدسه .. لم تر هذا المسدس فى حياتها إلا مرة واحدة ..

هتفت فى جزع :

ـ « إنهم يحرقون الـ .. »

قال وهو لا ينظر لها :

ـ « نعم .. رأيت .. إنهم رجال (عبد المنصف) .. لكنى سأدافع عن بيتى حتى النفس الأخير .. »

ثم أشار لها إلى الهاتف وقال :

ـ « اطلبى الشرطة ريثما أرد عليهم .. »

مدت يدها المذعورة إلى الهاتف لكنها أسقطت السماعة عندما أدركت أنها قطعة من البلاستيك البارد .. الميت ..

قال لها دون أن ينظر للخلف :

ـ « قطعوا خطوط الهاتف .. هه ؟ »

لم تكن هناك جدوى من المحمول لأنه لا وجود له فى هذا العالم الرومانسى .. وقال الأب وهو يهرع إلى إحدى النوافذ :

ـ « غادرى البيت من الباب الخلفى .. عبر المطبخ .. هناك مرآب سيارات فى نهاية الشارع على اليسار .. هناك

تجدين (عنتر) .. إنه يعمل (سايس جراج) ويقيم فى غرفة من قرميد مع أمه العجوز .. اطلبى منه أن يهرع لينجد عمه .. »

ـ « وعمى ؟ إن بيته قريب .. »

ـ « أولاده صغار السن .. كان (قاسم) يستطيع مساعدتنا لو لم يجن .. »

هنا انطلقت قطعة من القرميد تهشم النافذة التى وقف خلفها .. كادت تهشم نظارته لولا أن تنحى جانبًا ..

دس الفوهة فى فتحة الزجاج وأطلق طلقة ارتج لها البيت ..

وهتف بينما الصدى يصم أذنيها :

ـ « هلمى !!! »

هرعت إلى المطبخ .. بينما صراخ الطاهية يحطم أعصابها ..

هى لا تهرب .. هى تلجأ للحل الوحيد الممكن لإنقاذ أبيها .. لو تأخرت لفتك به هؤلاء الرعاع .. وطبعًا لن يتركوا أى برهان على أنهم من أسرة (عبد المنصف) ..

صراخ الطاهية .. تهشيم زجاج .. طلقة .. صوت ضربات .. قرميد يضرب الجدران .. تهشيم زجاج .. طلقة أخرى .. صراخ الطاهية .. قرميد يضرب الجدران .. طلقة .. صوت ضربات .. طلقة أخرى .. تهشيم زجاج .. قرميد يضرب الجدران .. صراخ الطاهية .. تهشيم زجاج .. طلقة .. صوت ضربات .. قرميد يضرب الجدران .. تهشيم زجاج .. طلقة أخرى ..

تهرع عبر الشارع وتنظر للوراء إلى سور البيت ..

ترى ألسنة اللهب تتعالى ..

إنهم يحرقون البيت كى يغادره من فيه ..

هذا هو المرآب .. تهرع وسط السيارات النائمة الباردة كوحوش غافية مبللة بالندى .. كلب شرس يعوى فى اتجاهها لكن لا وقت لديها كى تخاف ..

تهرع والكلب وراءها نحو الغرفة .. تدق الباب فى إصرار :

ـ « (عنتاار) .. (عنتاااار) !! »

لا أحد يجيب .. والكلب قد تحول إلى مجنون ..

عواء الكلب .. تهشيم زجاج .. طلقة .. عواء الكلب .. صوت ضربات .. يدها تضرب الباب .. تهشيم زجاج .. طلقة أخرى .. عواء الكلب .. صراخ الطاهية .. عواء الكلب .. صراخ الطاهية .. تهشيم زجاج .. طلقة .. صوت ضربات .. يدها تضرب الباب .. تهشيم زجاج .. عواء الكلب .. طلقة أخرى ..

فجأة تسمع صوتًا هادئًا من خلفها يقول :

ـ « كف عن هذا يا (عباس) .. »

نظرت للوراء فوجدت أن (عنتر) يجلس خارج الغرفة .. منذ البداية كان هناك .. يجلس على الأرض ويخيط غطاء سيارة تمزق .. جواره كوب شاى يتصاعد منه البخار .. معلومة أخيرة : واضح أن (عباس) هو الكلب لأنه كف عن ذلك فعلاً ..

قال دون ان ينظر لها :

ـ « كلب عجوز يحب أن يتظاهر بالشجاعة .. لكن العرب قديمًا قالوا :

بغاث الطير أكثرها صياحًا .. ولم تصح البزاة ولا الصقور ..

ضعاف الأسد أعلاها زئيرًا .. وأخطرها اللواتى لا تزير »

قالت وهى تلهث وتبكى :

- « (عنتر) .. ألا تسمع كل هذا ؟ آل (عبد المنصف) يدمرون بيتنا .. بيت عمك .. »

لم يرفع رأسه .. قال وهو مستمر فيما يقوم به :

- « كنت أحتقر هذه الأعمال اليدوية .. أحسب يدى الرجل خلقتا للضرب والصراع .. لكنى اليوم عرفت أننى خلقت لهذه الأعمال .. إن يدى تستمتعان بالحياكة فعلاً .. بالمناسبة لم لا تشربين هذا الشاى ؟ إن الإرهاق باد عليك ! »

- « (عنتر) .. إن لك لشأنًا آخر .. »

- « أى شأن ؟ إننى بواب .. وكما قال (عنترة) قديمًا : العبد لا يحسن الكر وإنما يحسن الحلب والصر .. »

هو ذا (عنترة) يفصح عن وجهه الحقيقي .. لقد اعتادت على كل حال مشهد (البطل المقموص) فى كل قصص الشعوب تقريبًا . (رستم) .. (أخيل) .. (عنترة) .. يجلس بينما الأعداء يمزقون قومه .. يبدو أنها لحظة تمر بحياة كل بطل ملحمي : إنهم لا يعاملوننى كما ينبغى .. إذن دعهم يذوقوا الأهوال من دونى ..

* * *

« ظللت فى عبيد عبس أحرس القطعان ..

أجتز صوفها .. أرد نوقها ..

أنام فى حظائر النسيان ..

طعامى الكسرة والماء وبعض التمرات اليابسة ..

وهأنا فى ساعة الطعان ..

ساعة أن تخاذل الرماة والكماة والفرسان ..

دعيت للميدان ..

أنا الذى ما ذقت لحم الضان ..

أنا الذى لا حول لى أو شان ..

أنا الذى أقصيت عن مجالس الفتيان ..

أدعى إلى الموت ولم أدع إلى المجالسة ! »

أمل دنقل - البكاء بين يدى زرقاء اليمامة

* * *

- « سوف يذبحون عمك يا (عنتر) !! »

ـ « ليتنى أستطيع عمل شىء .. لكنى كما قلت لك مجرد بواب .. »

نظرت له ولم تدر ما تقول ..

وجدت على الأرض فأسه الذى لم يكن يتركـه .. فحملتـه برغم ثقله واتجهت خارجة من المرآب ..

هتف يناديها :

ـ « ماذا تنوين عمله يا ابنة عمـ .. يا ست (غيداء) ؟ »

لم تنظر إلى الوراء .. فقط قالت وهى تجد السير :

ـ « سأحاول أن أدافع عن أبى .. هذا ما سأفعله .. »

ومضت تمشى فى الشارع بينما الأصوات تتعالى من بعيد ..

صراخ الطاهية .. تهشيم زجاج .. طلقة .. صوت ضربات .. قرميد يضرب الجدران .. تهشيم زجاج .. طلقـة أخـرى صراخ الطاهية .. تهشيم زجاج .. طلقـة .. صوت ضربات .. قرميد يضرب الجدران .. تهشيم زجاج .. طلقـة أخيرة .. واضح أن المسدس فرغ مرتين فلن يحشى مرة ثالثة ..

ثم صيحة (عنتر) !!

لقد جاءت اللحظة .. اللحظة التى لا يتحمل فيها البطل المزيد من السلبية .. مصرع صديق (أخيل) .. غضبة (رستم) .. صراخ الأب .. ..

كان قادمًا من خلفها وهو يزأر كأنـه جبل يهوى من عل .. لم تدر كيف ولا متى انتزع منها الفأس ..

سبقها بقدميه الحافيتين إلى البيت .. البيت الذى صار لوحة سريالية لا يمكن وصفها أو تصديقها .. أشباح تجرى فى كل صوب .. نيران .. دخان ..

وقبل أن تلحق به سمعتهم يعوون ألمًا ..

على باب الحديقة وقفت لترى هذا العملاق الأسود يطوح بفأسه ذات اليمين وذات اليسار .. ولا يكف عن التقدم وسط صفوف الرجال .. الفأس يضرب هذا فى عنقه وذاك فى رأسه ..

البعض حاول الهجوم عليه بالنبابيت لكن كيف تقترب من هذا الوحش الأسود المسعور ؟ كان الفأس أقل مما تسمح به قدراته فمد يده يلتقط أحد هذه النبـابيت .. وراح يضرب بالفأس والنبوت الذى يحملـه فى يده اليسرى كأنـه باقـة أزهار .. أحيانًا يستعمل قدميه الكبيرتين ..

كان يزحف فوق جثث ضحاياه نحو مدخل البيت وسمعته ينشد :

« هلا سألت الخيل يا ابنة مالك

إن كنت جاهلة بما لم تعلمى

يخبرك من شهد الوقيعة أننى

أغشى الوغى وأعف عند المغنم »

لحقت به لترى مشهدًا لا يمكن وصفه إلا فى الكوابيس ..

كان أحد هؤلاء يجثم فوق الأب ـ أبيها ـ وهو يوشك على أن يولج خنجره فى صدره .. لكن البائس لم يعش هذه اللحظة .. أعنى بالبائس حامل الخنجر طبعًا وليس الأب .. لأن (عنتر) دس يده تحت عنقه ولواه للخلف فدوى صوت (كريش ش) ..

أسقط آخر ثم أمسك بجثته من ساقيها وراح يضرب بها الآخرين .. أحيانًا كان يمسك برأسين ليهشمهما معًا .. وهو لا يكف عن الإنشاد :

« ولقد هممت بغارة فى ليلة

سوداء حالكة كلون الأدلم

لما رأيت القوم أقبل جمعهم

يتذامرون كررت غير مذمم

يدعون عنتر والرماح كأنها

أشطان بئر فى لبان الأدهم

ولقد شفى نفسى و أبرا سقمها

قيل الفوارس ويك عنتر أقدم »

فى النهاية صرخ أحد الرجال (هل بقى أحد ؟) :

ـ « إن هذا الحيوان لا يهزم ! فليفر من بقى حيًا ! »

ثم سقط على الأرض فاقد الرشد ..

من بقى حيًا ؟ للأسف لا يوجد أحد .. لقد أبادهم (عنترة) وحده .. فلماذا أحتاج إلى بعض الرجال فى تلك الغزوة التى استرد بها القيراط المفقود ؟ لا بد أن تفسير ذلك هو درجة إلحاح الخطر .. الخطر الملح يزيل الستار عن قوة لم يكن أحد يعرف أنها لديه ..

كان (عنتر) الآن أشبه بتمثال من أبنوس مبتل .. وكان يلهث من منخريه العظيمين بلا انقطاع ..

هنا التفتت (عبير) إلى الوراء لتجد (رامى) يقف على الباب !

* * *

هتف (رامى) فى جزع :

ـ « أنتم بخير .. لقد جئت أحاول إقناعهم ! »

صرخت (عبير) :

ـ « ابتعد يا (رامى) ! ابتعد حالاً ! »

لكنه كان أغبى من اللازم .. وقد هتف الأب وهو يحاول تثبيت عويناته المهشمة على أنفه :

ـ « هذا الصبى .. إنه من أسرة (عبد المنصف) .. الفتى الرقيع الذى كان يتسلل إلى الحديقة ليخاطب (غيداء) ! »

تراجع (رامى) إلى الوراء وهو يقول بلهجة من يعتبر الأمر مزاحًا :

ـ « لا .. لقد جئت هنا كى أوقف مجزرة .. Calm down .. »

فى اللحظة التالية كان (عنتر) قد وثب فوق الأريكة وهوى فوق الفتى كالجبل ، ثم أدار رأسه فى الاتجاه العكسى كما كانت الشياطين تفعل بضحاياها فى القرون الوسطى ..

ـ « لااااا!! »

هتفت (عبير) وهى تغمض عينيها وأذنيها .. ليتها تستطيع أن تغمض وعيها كذلك ..

ليتها .. شعور الغثيان هذا ..

إنها توشك على القيء ..

ما كل هذا الظلام ؟

إنها ....

* * *

١٠ - الزواج

توتر الجزار وصبيه عندما دنا منهما ذلك الفتى النحيل .. يلبس الأسمال ولحيته نامية وعيناه غائرتان .. لو كانا يفهمان الطب لحسبا هذه حالة درن أو سرطان دم ..

كانت الماعز مقيدة بالحبال والسكين على عنقها .. من الخطأ أنهما يفعلان هذا خارج السلخانة ، لذا توترا لدى رؤية الغريب .. لكنه لا يبدو مثل مفتشى الصحة ..

قال الرجل بصوت واهن :

- « هلا توقفت من فضلك ؟ »

توقف الجزار ونظر له فى شك ، فقال (قاسم) :

- « هل تنويان ذبحها؟ »

- « بل ننوى أن نلعب معها طاولة .. هأو ! »

لم يعلق الفتى ومد يده فى جيبه يعبث ببعض أوراق العملة ثم دسها فى يد الجزار وقال :

- « لقد اشتريتها منك .. أرجو أن تفك وثاقها ! »

نظر له الجزار من جديد وسأله :

- « هل هى - بلا قافية - من باقى أسرتك ؟ »

- « تقريبًا ! »

قالها الفتى وهو يرمق الجزار بنظرة مخيفة جعلته يتحسس سكينه .. حتى الجزارين يخافون المجانين .. لا يتعلق الأمر بالقوة الجسدية بل بعدم وجود رادع لديهم ..

عد الجزار الأوراق المالية فى حنكة ثم أمر صبيه بفك وثاق الماعز .. واضح أن المبلغ لا بأس به برغم أنه لا يعرف كيف خرج من هذا السروال الممزق ..

- « هل تريد أن يوصلها لك الصبى لدارك ؟ ستعطيه ما يكفى دخانه .. »

غمغم الفتى كالحالم :

- « ليس لى بيت .. اتركاها حرة ! »

ونظر للماعز وغمغم :

« ويا شبه غيدا لو تلبثت ساعة

لعل فؤادى من جواه يفيق

تفر وقد أطلقتها من وثاقها

فأنت لغيدا لو علمت طليق »

الحقيقة أن (قيس العامرى) فى جنونه كان قد رأى رجلين يوشكان على ذبح ظبية ، فهاله أن عينيها هما عينا (ليلى) بالضبط .. هكذا بادل بالظبية شاة كى لا يذبحها الرجلان .. وأنشد بيتى الشعر هذين ..

مشى (قاسم) مبتعدًا .. فتبادل الجزار مع صبيه نظرة من طراز (هم بيطلعوا الساعة كام ؟) .. فما إن غاب الفتى فى الأفق حتى أصدر الجزار أمره للصبي :

ـ « أمسك بالماعز ! »

ومن جديد خرج الحبل من جيب الصبى ..

★ ★ ★

فى حفل عائلى بهيج يقام الليلة حفل زفاف (غيداء منصور الفرجانى) إلى العقيد (عطا الله الأشمونى) .. والعاقبة عندكم فى المسرات ..

يقام الحفل فى إحدى القاعات الفاخرة بالمدينة .. وسوف يحضره عدد من أصدقاء العريسين .. هناك من سينظر للحفل من بعيد ويتنهد .. من هؤلاء شاعر مرهف اسمه (سمير) وسائس سيارات شاب أسمر اسمه (عنتر) .. سوف يمرون من بعيد تحت جنح الظلام وينشد كل منهما شعرًا رائعًا .. هذا كل شىء ..

لقد قضت (عبير) يومين فى المستشفى بعد إصابتها بانهيار عصبى لمقتل (رامى) .. وقد جاء رجال الشرطة وعرفوا أن الضحايا كانوا هم الجناة .. لقد تم هذا دفاعًا عن النفس لكن أى دفاع ! المعتدون فى حال يرثى لها بينما الضحايا الأصليون بخير حال !

خرجت (عبير) من المستشفى لتعرف أن أباها لم يعد يتحمل أكثر .. يجب أن تتزوج ليطمئن عليها ، وراح يمارس بعض ألاعيب الآباء التى لا تفشل أبدًا .. يتحسس صدره ويظهر ضيق التنفس .. يبتلع المزيد من الأدوية .. ينام فى الصالة فى أوضاع توحى بأنه فعلها وصعد للرفيق الأعلى .. هكذا يجن جنونها وتوقظه فيصارحها بأن وقته صار ضيقًا .. ليس هناك من يعنى بها بعده .. إن أسرة (عبد المنصف) كبيرة لكنهم كذلك أكبر مجموعة من الأنذال الذين لا يوثق فيهم ..

هكذا صار الزواج محتمًا ..

الفتيات يستعرضن كم هن جميلات ، والفتيان يستعرضون كم هم رائعون .. والموسيقا صاخبة ..

(عبير) /(غيداء) تجلس إلى يمين زوجها الذى يعانى ارتباكًا واضحًا .. أولاً هو لم يعتد هذا الجو .. ثانيًا فارق السن يخجله .. ثالثًا هو يعانى عقدة المصريين تجاه لون البشرة ويشعر بأنه من الصعب أن تحبه بلون بشرته الأسمر بينما هى بيضاء كالحليب ..

مجموعة كبيرة من ضباط الجيش وجنوده جاءوا يهنئون زوجها .. وأدركت من حرارتهم وإخلاصهم أنهم يحبونه حقًا .. هذا هو عالمه الحقيقى .. مملكته التى يصير خارجها مجرد طفل ضل الطريق لبيته .. تذكرت قصة قصيرة للرائع (يوسف إدريس) ، عندما كانت الزوجة تشكو من غباء زوجها الطبيب وضعف شخصيته وحديثه الممل .. ثم حضرت إحدى الجراحات التى يجريها ففوجئت بأنها تقف جوار جنرال أسطورى عظيم يعرف ما يفعله ويسيطر على كل ركن من غرفة الجراحة .. هذه مملكته .. هذا ملعبه .. بينما فى الخارج يصير تائهًا معدوم الحيلة ..

باختصار كانت هذه أسود لحظات حياته .. وكان يحاول التغلب على خجله بأن يسألها من آن لآخر :

ـ « يبدو عليك الإرهاق .. هل أنا واهم ؟ »

لو حدثها واحد آخر عن إرهاقها لقطعت شرايينها فى التو والحظة ..

كانت تقدم له أفراد أسرة (الفرجانى) الذين جاءوا يهنئونه :

ـ « هذا اللواء (صفوت) .. ابن خالة عمى .. هذه مدام (زيزى) .. زوجته .. هذا هو المستشار (محسن) .. ابن عمة خالى .. وهذا .. »

ثم توقفت كالخرساء عندما رأته أمامها ..

(قاسم) بالذات بأسماله ولحيته ونظرته المفتونة .. لماذا هنا بالذات ؟ ومن الأحمق الذى سمح له بالدخول ؟

سألها زوجها وهو يرمق الفتى فى اشمئزاز :

ـ « ومن هذا ؟ »

لا بد أنه حسبه من المجاذيب الذين يتسولون خلف مسجد السيدة (زينب) .. لكنها قالت بصوت مبحوح :

ـ « (قاسم) .. ابن عمى .. »

صافحها الفتى بلطف حتى كاد يبقى يدها فى يده ربع ساعة ، ثم دنا من الزوج وهمس :

ـ « مبروك ! »

ـ « الله يبارك فيك .. »

دنا أكثر وهمس :

ـ « إنها رائعة ! إنها أجمل نساء الكون ! »

كما توقعت ! لا بد من أن يحدث وجوده كارثة .. تمالك الزوج أعصابه وتظاهر بأنها مجاملة .. فأردف الفتى :

« بربك هل ضممت إليك غيدا

قبيل الصبح أو قبلت فاها ؟

وهل رفت عليك قرون غيدا

رفيف الأقحوانة فى نداها ؟! »

هنا فقط أدرك الزوج الموقف ! هذا الوغد يأتى ليغازل زوجته أمامه ! نهض مغضبًا وقد استعاد جو الحروب وهتف :

ـ « أنت قليل الأدب ! »

ثم انهال على وجه الفتى بصفعة .. ليس هذا فحسب بل إنه انحنى ينزع حذاءه اللامع (الفيرنيه) عن قدمه ليهوى به فوق رأس الفتى !

تعالت الصرخات واحتشد الجميع يرون ما سيحدث .. معركة ممتعة جدًا .. لكنها غير متبادلة .. لأن الفتى يتلقى الضربات كما تتلقى المرتبة ضربات (أم مهدى) وهى تنفضها على سور الشرفة ..

ـ « أخرجوا هذا الصعلوك من هنا ! »

وتكأكأت الأيدى على الفتى تحمله إلى الخارج حملاً .. بينما عاد ضابط الجيش محتقن الوجه إلى المقعد وأعاد لبس حذائه وهو يرغى ويزبد ..

كانت هذه الفضيحة بحاجة إلى ما هو أقوى وأسوأ كى تنساها .. رفعت (عبير) عينيها الدامعتين لتنظر إلى الضيف التالى ..

بالفعل وجدت أنها تحدق فى الوجه اللزج الناعس لـ (تامر) .. (تامر) زير النساء الذى هشمت رأسه بالأباجورة !

ويحكم ! ألن تتركونى وشأنى أبدًا ؟

ـ « مبروك يا عروس »

ثم صافح العريس بذات الطريقة اللزجة .. إنه يتبادل معه الهمسات .. هل بينهما أرضية مشتركة من أى نوع ؟ الهمس يتحول إلى ضحكات .. مصافحات بطريقة (كفك) .. يتبادلان البطاقات مع الكثير من :

- « سوف أخبر اللواء (عزام) بالموضوع .. ها ها ! ولسوف يصر على أن يصله ملبس الفرح !! »

ها ها ها ها !

ها ها ها ها !

تبًا لسماجتك !

- « إنسان ممتاز ! »

قالها زوجها وهو يدس البطاقة فى جيبه ..

- « يختلف كثيرًا عن ابن عمك المجذوب هذا .. »

بالفعل لا يعرف زوجها الكثير عن العالم الخارجى خارج الجيش .. إنه جندى ممتاز .. خلق لهذا فقط .. قليل هم الأشخاص الذين يشعرونها بأنها تفهم العالم أفضل منهم ..

★ ★ ★

١١ - عطاء الله ..

لم يكنِ (عطا الله) زوجًا سيئًا على الإطلاق .. بالأحرى كان حنونًا كريمًا .. لكن مشكلة الغيرة كانت قاتلة ..

لكم من شاب كاد يفتك به لأنه مر جوارها ببطء .. ولكم من رجل كاد يهشم رأسه لأنه أطال النظر لها ..

كانت تقول له :

- « حتى الشرع يعطيه الحق فى النظرة الأولى لاحتمال أن يكون القادم أسدًا .. »

فكان يقول وقد انتفخت أوداجه :

- « يا سلام ! وما هى فرصة أن يقابل أسدًا على كورنيش النيل وسط القاهرة ؟ »

كانت تفهم مشكلته .. مشكلة الزوج القبيح المسن مع زوجة جميلة شابة .. هو يعرف أنها معجبة به .. لكن هل تعجب به كرجل أم تعجب به كضابط شجاع ؟ هذا ما يقلقه .. يتمنى أن تحبه لأنه رجل ..

على كل حال بدأت المشاكل تنحسر .. وبدا أن الحياة أكثر انتظامًا ..

كانا يعيشان فى بيت جميل يبعد مائة متر عن بيت أبيها ، لذا كان أبوها مدعوًا دائمًا إلى مائدتهما أو هما مدعوان على مائدته التى تعدها (سنية) الطيبة .. هناك كان الأب يحكى لها عن تقدم (قاسم) فى العلاج فى المصحة النفسية ، أو عن (عنتر) الذى أخذ أمه معه وسافر إلى الإسكندرية .. كانت تحتفظ لنفسها بقصة (سمير) الشاعر الرقيق ذى الأنف العملاق ، و(رامى) الذى خدعها لكنه مات وهو يحاول إنقاذ حياتها .. هذه أشياء لا تقال لكنها تحتفظ بها .. يومًا ما ستحكيها لحفيدتها وهى جالسة قرب النار كما تفعل الجدات فى القصص ..

إن الشلال قد عاد ليستقر .. صار نهرًا هادئًا .. وقدرت أن قصتها انتهت عند هذا الحد ..

لكنها كانت ساذجة كالعادة ..

★ ★ ★

زيارة من ذلك الوغد (تامر) ..

لقد قضى مع زوجها وقتًا طويلاً .. إن زياراته تتكرر وزوجها مقتنع به بشدة .. لكن تأثيرًا سامًا يتسرب إلى روح الزوج فى كل مرة .. لماذا ينظر لها تلك النظرات الغريبة ؟

« ودعينى أؤكد لك أنه سيحاول مرارًا .. هذا الطراز من الرجال كالذباب تذبينه فيعود .. »

قالها المرشد يومًا ما وهى نوع من النبوءة / التحذير .. هذا الطراز لا يغفر أن ترفضه الأنثى .. هو الذى يرفض ويتخلى عن النساء أما أن يحدث العكس (فلا نزل القطر .. فلا نزل القطر) ..

زوجها يسألها :

- « هذا المخبول ابن عمك .. هل كان يزورك كثيرًا ؟ »

نظرت له فى صمت .. ثم قالت :

- « إنه ابن عمى .. »

- « وكان أبوك يترككما ؟ »

- « لا .. ابن عمى ليس من محارمى لو كنت تلاحظ هذا .. »

يفكر قليلاً ثم يسأل :

- « والفتى الذى كان ينشد الشعر تحت شرفتك ؟ »

- « من قال لك قصته ؟ »

ـ « إن لى مصادرى .. والآن أجيبى .. »

ـ « كان معجبًا بى .. هذا كل شىء .. وقد فتك به (عنتر) .. »

ـ « و (عنتر) كان يميل إليك ؟ »

ـ « من قال هذا .. »

ـ « إن لى مصادرى .. »

هكذا كانت حياتهما دوامة لا تنتهى من الأسئلة .. وكانت تعرف مصادره جيدًا .. إنه ذلك الوغد (تامر) .. (دون خوان) ..

لم تدرك خطورة الأمر إلا فى تلك الليلة ..

كانت قد نامت فى غرفتهما وأطفأت الأباجورة جوار الفراش ..

لم تدر متى ولا كيف شعرت بان الضوء قد عاد .. ظلت عيناها مسبلتين بينما شعرت بالفراش ينضغط تحت ثقل زوجها ..

كان جالسًا جوارها يتأمل وجهها ..

مد يده يتلمس عنقها .. وشعرت به يبكى بلا انقطاع ..

ـ « سامحينى .. سوف تدفعين الثمن .. أيتها الخائنة .. »

وهنا شعرت بأصابعه تضغط على حنجرتها .. لم يعد هناك هواء ..

فتحت عينها المذعورتين فرأت وجهه الأسمر الذى احتشدت عليه أمارات القسوة والأسف والحنان والأسى والرقة والغضب والغل .. كل هذا فى وقت واحد .. أين رأت هذا المشهد من قبل ؟

همست بصوت كالفحيح :

ـ « (عط .. لل ..) »

وهنا تذكرت أين رأت هذا المشهد.

أغلب نقاد الأدب اعتقدوا أن اسم (عطيل Othello) هو النطق الغربى لاسم (عطاء الله) .. الضابط المغربى الأسمر الشجاع الذى أحرز كل انتصار ممكن لكنه ظل طفلاً ساذجًا فى أمور الحب .. وعندما فاز بحب الحسناء (ديدمونة) لم يصدق هذا .. لم يصدق أنها قد تحبه لشخصه .. هنا يظهر

من يؤكد له أن هواجسه صحيحة فعلاً .. يؤكد له أن حسناء شابة مثل (ديدمونةDesdemona) لا يمكن أن تحبه بل تحب من هو شاب جميل مثلها .. وهكذا يصل به الجنون مداه ويخنقها برغم براءتها ..

ووراء هذا أشر وأعقد شخصية فى الأدب العالمى ..

إن (تامر) لم يكن يلعب (دون خوان) هذه المرة ..

كان يلعب دور (ياجو Iago) !

* * *

١٢ - المبارزة

كان الحل الوحيد قريبًا وسهلاً ، وكان عليها أن تتخذه قبل أن يجعلها نقص الأكسجين عاجزة عن تحريك عضلاتها .. هكذا مدت يدها إلى الأباجورة جوار الفراش وهوب !

كراااش !

قال شيئًا ما .. ثم تحسس رأسه الذى تغطى بالدماء وأطلق سراحها ..

فى اللحظة التالية هوى رأسه على الفراش وقد فقد وعيه ..

يبدو أن مغامرتها فى (فانتازيا) اليوم هى سلسلة طويلة من تهشيم الأباجورات على الرءوس .. لكن هذه المرة لم تستمتع بما فعلته على الإطلاق .. إن هذا البائس يحمل جحيمه الخاص فى داخله .. جحيمًا من الشكوك والهمسات وسموم الأفاعي ، ولاشك أن الضربة قد أراحته كثيرًا .. على الأقل لن يفكر لبعض الوقت ..

وثبت من الفراش وبدلت ثيابها بسرعة البرق ثم هرعت إلى بيت أبيها.

إنها أسعد حظًا من (ديدمونه) على كل حال ..

* * *

ـ « كلا يا سيدى .. هى لن تعود للدار .. سوف تبقى فى دار أبيها لتكون فى أمان .. عندما ترسل ابنتك لدار زوجها فأنت على الأقل مطمئن على حياتها . لا أتحدث عن ملء بطنها ولا عن الدفء ولا عن كسائها بل أتحدث عن الحياة ذاتها .. من حقها أن تنام عالمة أنها ـ ما لم يتوفها الله ـ ستصحو فى الصباح .. لن تمتد يد غادرة لتخنقها أثناء النوم .. يد غادرة يحركها عقل مجنون أضنته الشكوك والهلاوس .. رأيى يا سيدى الكريم أن ابنتى لن تعود .. انت حر فى قرارك الخاص .. ربما تطلقها أو تبقيها .. ربما تلجأ إلى القضاء .. سيكون مسليًا وقتها أن أحكى قصة الزوج المسن الذى أصابه فقدان الثقة بالنفس بنوع من الخبال .. يمكنك أن تزورها هنا إذا أردت ، لكنى أفضل أن تبدأ بزيارة طبيب نفسى بارع .. نعم .. أعرف أن (قاسم) ابن أخى قد أساء لها .. أعرف أن سمعتنا قد تدنت بسبب أشعاره ، لكن (ليس على المريض حرج) .. هذا رجل يمشى فى الأزقة الخلفية ولعابه يسيل ، وينشد ألف بيت

شعر كل ساعة .. وما من بيت شعر منها لا يحوى اسم (غيداء) .. وقد دفع للجزار ثمن ماعز يفتدى به حياتها لأن عينيها تشبهان عينى (غيداء) .. لكن هذا ليس ذنبى ولا ذنب (غيداء) .. ما استطعت عمله هو أن أدخلته المصحة على نفقتى الخاصة .. وإننى لأنصحك بشىء مماثل .. أنت تلاحظ أننى لم أهشم رأسه ولم أطلق عليه الرصاص ولم أخنقه أثناء نومه .. المجنون لا يعامل بهذه الطريقة .. لهذا سمحت لك بدخول بيتى وسمحت لك بشرح وجهة نظرك .. لكنى لن أعيد ابنتى لك لأننى لا أضمن أية أفاع سوف تتحرك فى عقلك المخبول غدًا .. عندها ربما تتناول سكين المطبخ لتجز عنقها .. دعك من أننى أرى أنك تستحق هذا الرأس الدامى .. إن ابنتى قد أجادت الدفاع عن نفسها ولا ألومها إلا على أنها انتقت تلك الأباجورة الرقيقة الهشة .. لو كان ما جوار فراشها مكواة لكان هذا هو الحل السعيد لكل مشاكلنا .. »

انتهى الكلام فراح صدر الأب يعلو ويهبط ، ومد يده يتناول كوب الماء ليرشف منه عدة جرعات .. القلب الكبير لم يعد يتحمل هذه الانفعالات ..

تحسس (عطا الله) رأسه المضمد وقال بصوت خفيض :

ـ « لا أنوى أن أعلق علـى شـىء من هذا .. معك كل الحق .. كلانا رجل شريف يكـره أن يمـس الضر أسرته .. لكنى أؤكد لك أنها لحظة جنون عابرة وقد انتهت .. »

ـ « وما الضمان أنها لن تتكرر ؟ »

ـ « شك وزال .. هناك من زرع فـى فكرى أفكـارًا خاطئـة .. عندما أفقت من غيبوبتى والدم يلوث ملاءة الفراش ورأسى يرتج ، أدركت كم انا أحمق .. »

قالت (عبير) فى حزم :

ـ « ما زالت الأطـراف موجودة .. أنا وأنت ومن يـزرع الأفكار والأفكار نفسها .. ما زالت الفـرص متاحـة ومـا زال المستقبل مبهرًا .. »

قال وهو ينظر لها :

ـ « أحد الأطراف لم يعد موجودًا .. لو رأيت هـذا الكلب ثانية لقطعت رأسه .. »

هنا تدخل الأب الذى لم يعد يفهم حرفًا :

ـ « ما معنى هذا ؟ هل هناك من قال زيفًا عن ابنتى ؟ »

لم يرد أحد ..

نهض وقال بلهجة حازمة :

ـ « (عطا الله) يا بنى .. أرجو أن تنصرف الآن .. أنـا لست فى حال طبيعية . ربما لو التقينا بعد أسبوع لأمكننى أن أرد عليك بشكل أكثر هدوءًا .. »

قال (عطا الله) وهو ينهض بدوره :

ـ « بوسعى أن أكون عصبيًا .. بوسعى أن أصر على أخذ زوجتى معى .. لكنى أعرف أن الأمور ستعود لمجاريها ولا أود أن أفسد علاقة الغد بمشادات اليوم .. سأنصرف .. فأنت فى حاجة إلى راحة وتفكير. »

ثم نظر إلى (عبير) وقال :

ـ « وأنت كذلك يبدو عليك إرهاق واضح !! »

هزت رأسها فى غيظ ولم تعلق ..

* * *

استنطقها الأب طيلة الليل ..

فى النهاية جمع الكثير من التفاصيل عن (تامر) وخادمه (سراج) .. عرف قصة الكهربائى الذى جاء ليصلح عطلاً لا وجود له .. عرف قصة التخرصات التى راح الوغد يصبها صبًا فى أذن الضابط المستقيم الشريف (عطا الله) ..

قال لها بعد ما جمع الخيوط كلها :

- « فى الحقيقة زوجك لم يرتكبْ خطأ .. لقد أفسد الوغد عقله ولو كنت مكانه لفعلت الشىء ذاته !! »

- « الحمد لله أنك لست فى مكانه. »

قال لها فى هدوء وحزم :

- « سيكون أول ما ينبغى عمله أن تعودى لبيتك .. »

- « يا سلام ؟ هل نسيت أن هناك رجلاً يخنق النساء النائمات ؟ »

- « لن يفعلها ثانية .. أنا أعرف هذا يقينًا .. »

- « ثم ؟ » :

- « ثم .. اتركى لى الأمر .. »

فيما بعد عرفت ما حدث :

وعندما جاءت الثامنة من مساء ذلك اليوم .. دق الجرس فى دار (تامر) .. فتح الخادم (سراج) الباب بطريقته المتأنقة بالغة الغرور ..

- « هل (تامر) هنا ؟ »

نظر له الخادم فى اشمئزاز .. هذا الرجل يبدو وقورًا له شارب أبيض ويضع العوينات لكنه قليل الأدب ..

- « اسمه الأستاذ (تامر) .. »

- « قل له إن اسمى (منصور) .. »

بالطبع كان هذا هو الأب الذى جاء ليؤدب الوغد الذى فشل فى تدمير حياة ابنته قبل زواجها فصمم أن يدمرها بعد زواجها ..

صوت خطوات على الدرج .. ينظر الأب من أعلى فيجد فتاة صغيرة السن مُرتبكة تصعد .. تنظر لأعلى لتجد زحامًا عند الباب .. فتتوقف ..

صاح الأب الذى بدا حينما تراه من زاوية منخفضة أسطوريًا كأنه (زيوس) الغاضب :

ـ « ليس هنا يا آنسة ! لقد مات ! من جئت من أجله قد مات .. اتفقنا ؟ لا تصدقى حرفًا مما يقوله لك ، فهى أسطوانة اعتاد ترديدها حتى بليت .. هلمى إلى بيتك .. وإلا ! »

ومد يده موشكًا على انتزاع الحذاء ، لكن الفتاة كانت قد أطلقت ساقيها للريح .. لم تحاول أن تفهم .. فقط هناك رجل يصرخ على الباب .. هذا كاف جدًا ..

قال (سراج) بكبرياء :

ـ « والآن هل لى أن أفهم سبب هذه التصرفات السوقية ؟ من أنت ؟ لص أم مجنون ؟ »

ـ « كلاهما معًا ! فلتدخل لتخبر سيدك الوغد أننى أنتظر ! »

ـ « لا داعى لذلك .. »

كانت هذه من (تامر) نفسه .. يأتى من الداخل وقد ارتدى الروب القصير ودس يديه فى جيبيه .. وحرص على أن يبدو وغدًا ونذلاً ..

كان يضع لفافة تبغ بين شفتيه ونظرة ناعسة سمجة على عينيه ..

ـ « هل لى أن أتشرف بمعرفتك ؟ »

ـ « أنا (منصور الفرجانى) .. أبو (غيداء منصور الفرجانى) ! »

لم يهتز الفتى لسماع الاسم .. بل بدا كأنه يتذكر .. بالطبع هذه المشادة مع الآباء قد مرت به ألف مرة من قبل .. لهذا هى نوع من التدريب المفيد على البرود ..

ـ « تشرفنا .. وإن كنت لا أذكر من هى .. إن الفتيات كثيرات فى حياتى وثق أننى لا أسعى وراءهن .. هن من يحمن حولى كالذباب .. »

قال الأب بصوت عال لدرجة أن فهم مقاطعه صعب :

ـ « (غيداء) هى الفتاة التى حاولت أن تفسد حياتها قبل وبعد الزواج .. أمثالك هم حطب جهنم لو كنت تفهم معنى هذا .. »

ـ « لا أفهم معنىً هذا .. »

ـ « معناه أنك لن تُحرق فى جهنم .. بل سيتم استعمالك لحرق الخطاة الآخرين ! وقد جئت لأسهل رحيلك إلى هناك ! »

وفجأة رأى الفتى فى يد الأب مسدسًا ..

كان رد فعل الوغد سريعًا .. لو انتظر ليفكر لما نجا .. إنه رد فعل حيوانى يشبه ردود أفعال الذئاب التى جاء منها .. كان الأب يقف على قمة السلم وراءه الدرجات ، ووضعه بعيد عن التوازن ..

هكذا .. قبل أن يدرك الأب ولا (تامر) ولا الخادم ما يحدث فعلاً كانت ساق (تامر) تندفع لتركل الأب فى فخذه .. وهكذا ..

سرعان ما انزلق إلى الوراء وهو يطلق طلقة .. طلقة لم تصب إلا الجدران طبعًا .. ثم تدحرج عدة مرات فوق الدرجات ليهمد جسده تمامًا عند (البسطة) ..

فتح الخادم فمه ليتكلم ، لكن (تامر) قال له وهو لم يبدل وقفته :

- « اطلب الشرطة حالاً .. هذه حالة دفاع عن النفس لا شك فيها .. لكن لا تلمس شيئًا إلى أن يعاينوا بأنفسهم .. »

* * *

١٣ - الجحيم ..

قال لها المرشد :

- « كان عليك أن تتوقعى هذا .. (دون خوان) قد تلاعب بعواطف ابنة قائد (سيفيل) Seville وخدعها .. هكذا تحداه الأب للمبارزة .. طبعًا انتهت المبارزة بمصرع الأب .. »

قالت فى غيظ وهى تجفف دموعها :

- « كيف لى أن أتذكر مسار كل عمل أدبى أو فنى فى التاريخ ؟ »

- « يجب أن تتذكرى .. هذا هو العمود الفقرى لأوبرا (موتسارت) .. على كل حال قد حققت الشرطة فى الموضوع .. لقد مات الأب الموتور ومسدسه فى يده .. لا يوجد أى غبار على الفتى .. والسقطة ليست سبب الوفاة بل هبوط القلب نتيجة كل هذه الانفعالات العاطفية .. إن المسنين يستحقون ما هو أفضل من هذا. »

- « سينجو (تامر) بفعلته .. فى كل مرة ينجو بفعلته .. »

ونهضت إلى المدفأة تتأمل صورة الأب التى احتلت مكانها جوار صورة الأم .. إنها الآن يتيمة فعلاً .. يتيمة جدًا .. لم يعد لها إلا (عطا الله) ..

هنا سمعت صوت ضحك عال .. صوت باب يفتح ..

نظرت للوراء فوجدت (سنية) الطاهية تدخل مذعورة ..

ـ « إنه باب المطبخ يا سيدتى .. لم يرض أن .. »

ومن خلفها سمعت صوتًا مألوفًا ..

هو ذا (تامر) يدخل ومعه خادمه (سراج) .. وهو يحمل كيسًا يبدو أنه يحوى بعض الأطعمة .. كان يضحك فى تشف متظاهرًا بالتأثر .. متأنق بشدة متبختر كالطاووس ..

يهتف وهو ينظر حوله :

ـ « يا لفخامة البيت ! من أين لأبيك هذا ؟ »

(سراج) يقف على النضد ليخرج الأطعمة التى يحملها من كيسها ..

هتفت غير مصدقة :

ـ « كيف تجرؤ ؟ »

قال ضاحكًا :

ـ « من حقى أن أقدم لك واجب العزاء .. وكان من السهل أن أدخل بعد رحيل ذلك الخرتيت الأسود الذى كان يجثم على مدخل البيت .. لكنى فضلت الدخول من الباب الخلفى .. أنا لا ادخل البيوت من أبوابها أبدًا ! بالمناسبة يبدو عليك الإرهاق ولا أفهم سبب هذا ! »

نظرت حولها بحثًا عن المرشد لكنه كان قد توارى ..

صاحت وهى تتراجع :

ـ « سوف أطلب الشرطة ! »

ـ « أتمنى أن أرى كيف ستفعلين ذلك من دون خط هاتف ! »

صاحت فى الطاهية العجوز :

ـ « أطلبى العون يا (سنية) .. أطلبى (عطا الله) ! »

قال (تامر) وهو يسترخى على أحد المقاعد :

ـ « لا ليس (عطا الله) .. لا أضمن رد فعله عندما يأتى ليجدنى هنا معك أتناول عشائى .. أنصحك بالذهاب للنوم يا (سنية) .. لا سبيل للخروج من هنا لأن (سراج) أغلق باب المطبخ .. »

ثم طوح حذاءه وقال :

ـ « لا أدرى لماذا تتشنجين ؟ سوف أتناول عشائى وأؤدى واجب العزاء ثم أرحل .. هذا وعد »

بحركات ميكانيكية كان (سراج) يضع أصناف الطعام فى أطباق ورقية أحضرها معه .. ثم اتجه إلى سيده وانحنى فى تهذيب :

ـ « كل شىء جاهز يا سيدى .. هل تسمح لى ؟ »

قال الفتى وهو يشعل لفافة تبغ :

ـ « نعم .. نعم أيها العزيز المخلص .. إن غرفة مكتب الفقيد هناك على ما أعتقد .. يمكنك أن تستلقى على أريكة هناك وتظفر بغفوة .. »

وانصرف الخادم ..

هنا وقفت (عبير) وأشارت للباب فى حزم :

ـ « أخرج ! »

قال (تامر) وهو يريح ساقيه على مسند :

ـ « أنا لن أفعل .. »

ثم دار بعينه فى المكان ..

فجأة توقفت عيناه على الصورة المعلقة .. صورة الأب .. صورة الأب الذى يرمق المكان فى نوع من الحزن والعلم ببواطن الأمور .. لكنه برغم هذا يبتسم ..

هتف الفتى وهو ينهض :

ـ « آه ! صورة رائعة ! هل علقتها بهذه السرعة ؟ لا بد أنك وجدت من يكبرها لك .. »

ثم اتجه إلى أطباق الطعام فانتقى قطعة كبيرة من اللحم .. وقضم منها قضمة .. ثم مشى نحو الصورة وخاطب صاحبها :

ـ « معذرة .. أعرف أن ما تراه لا يريحك .. لكن لا تنكر أنها كانت سقطة ممتازة ! »

هتفت (عبير) وهى تغمض عينيها :

ـ « ابتعد عن الصورة .. أترك شيئًا واحدًا فى هذا العالم لتحترمه ! »

ـ « من قال إننى لا أحترم هذا الرجل ؟ (منصور الفرجانى) العظيم الأب العبقرى لكل هذا الجمال .. »

وبحركة تمثيلية انحنى أمام الصورة وقال ملوحًا بقطعة اللحم :

ـ « سيدى .. هل تقبل دعوتى لك على العشاء ؟ »

هنا قالت الصورة :

ـ « بكل تأكيد !! »

* * *

فجأة انهار منطق الواقع ليفسح المجال لمنطق الكابوس ..

امتدت اليد خارجة من اللوحة وأطبقت على عنق الفتى ..

صرخ وبصق قطعة اللحم التى كان يلوكها .. بينما اليد تجذبه إلى داخل اللوحة .. والضحكة على وجه الأب تزداد شراسة وتوحشًا ..

الفتى يتشبث بإطار اللوحة :

ـ « لا ! لا أريد ! »

لكن الجذب أقوى منه .. اليد صارت مخلبية مخيفة ومن الواضح أن قوتها لا تمت لعالمنا بصلة .. الآن صار نصف جسد الفتى داخل عالم اللوحة وسط الألوان الذائبة ..

ـ « اتركنى ! لم أقصد إلا المزاح ! »

الصراخ صار بكاء ..

هنا كان المزيد من الجذب .. وسرعان ما توارى بالكامل داخل اللوحة ، والتأمت دوامة الألوان .. تكاد (عبير) تقسم أنها سمعت اللوحة تتجشأ .. ثم عاد وجه الأب الباسم الذى يعرف بواطن الأمور .. وعادت هذه مجرد صورة لمتوف ..

كانت (عبير) الآن تقف مذهولة ومعها (سراج) و(سنية) ..

وجوارها وجدت المرشد يقف بطريقته غير المبالية ، فنظرت له متسائلة .. قال باسمًا :

ـ « نهاية أوبرا (دون خوان) بالضبط .. لكن الأمر كان يتعلق بتمثال الأب .. قائد (سيفيل) الميت .. لقد سخر منه (دون خوان) ودعاه إلى العشاء .. كانت النتيجة أن التمثال قبل الدعوة ، وجذب (دون خوان) ليحمله معه إلى الجحيم !!! »

ثم استدرك فجفف عرقه وقال :

ـ « طبعًا ليست تماثيل المتوفين جزءًا من ثقافتنا هنا ، لذا بدت لى فكرة الصورة التى تدب فيها الحياة لا بأس بها .. إن (تامر) يقضى الآن وقتًا ممتعًا فى طريقه إلى الجحيم .. »

قالت له وهى تتراجع مذهولة من هول ما رأت :

ـ « هكذا لقى نهاية استحقها بشدة .. ولكن ماذا عنى أنا ؟ »

قال المرشد :

ـ « إن طريقك محدد وهو العودة إلى (عطا الله) الزوج المخلص .. سوف تعرفين كيف تروضينه لو كنت أنثى حقيقية .. أما إن أصررت على الطلاق فعندك ذلك الشاب (سمير) .. إنه نبيل مرهف يحبك حقًا .. وهو مناسب لك اجتماعيًا أكثر من (عنتر) .. »

يا لها من قصة ! ..

لقد قتل أبوها (دون خوان) بعد ما قتله (دون خوان) .. هى متزوجة من (عطيل) لكن بوسعها أن تتركه إلى (سيرانو دى برجيراك) .. (روميو) قد مات و(قيس) قد جن .. (عنتر) لا يصلح وقد نفى نفسه إلى الإسكندرية .. إنها (خلطبيطة) فعلاً بلا أدنى مبالغة ..

كانت تفكر عندما سمعت صوتًا مألوفًا يتكلم خلفها ..

« فقال بصير القوم وألمحت كوكبا
بدا فى سواد الليل فردًا يمانيا
فقلت له بل نار (غيدا) توقدت
بعليا تسامى ضوؤها فبدا ليا »

نظرت خلفها فوجدت (قاسم) ابن عمها .. كان حليق الذقن نظيف الثياب .. لكن نظرة الافتتان المزعج ما زالت فى عينيه ..

قال لها :

ـ « انتهت متاعبك يا (غيداء) .. سمعت أنك على وشك الطلاق .. لقد شفيت وصار بوسعى أن أعنى بك بعد وفاة عمى رحمه الله !! »

ثم أردف :

ـ « بالمناسبة .. يبدو عليك الإرهاق !! »

قالت له وهى تتراجع بظهرها :

ـ « كلا لم تشف .. ما دمت تقرض الشعر بمعدل قصيدة كل ربع ساعة .. وما دمت ترى أننى مرهقة ، فأنت لم تشف .. »

ثم نظرت إلى المرشد وصاحت :

ـ « مرشد .. هل يمكننا الفرار من هنا ؟ لقد صار الوضع هو الملل بعينه ! »

ـ « أحلامك أوامر يا أليس .. وإن تمنيت لو انتظرنا لأعرف قرارك .. (عطيل) أم (برجيراك) .. »

ومد يده يتأبط ذراعها متجهًا إلى خارج البيت .. لم ينس أن يقول لها :

ـ « على فكرة .. مع ابن عمك حق .. يبدو عليك إرهاق شديد ولا أعرف السبب !! »

★ ★ ★

فى القصة القادمة تنسى (عبير) كل شىء عن الإرهاق وعن المعجبين لأنها تنوى أن تقوم برحلة خطرة لم يعد منها الكثيرون من قبل .. رحلة تحاول استكشاف منابع نهر عظيم .. نهر النيل بالذات ..

تمت بحمد الله

■■ المصادر :

- فاروق خورشيد : الأسطورة عند العرب . عالم المعرفة (٢٨٤). أغسطس ٢٠٠٣
- فتحى سعيد : عشاق لكن شعراء . اقرأ . ٤٥٦. ١٩٨٤
- وليام شكسبير: روميو وجولييت . ترجمة مؤنس طه حسين . دار المعارف بمصر. مسرحيات شكسبير (٥) . ١٩٦٠
- وليام شكسبير عطيل. ترجمة خليل مطران. دار المعارف بمصر .
- عدد من مواقع الإنترنت ..

روايات
مصرية
للجيب

فانتازيا

مغامرات ممتعة
من أرض الخيال

الملل بعينه



د. أحمد خالد توفيق

(غيداء) جميلة ..

ربما .. لو امتزجت ألحان (موتسارت) و(بيتهوڤن) و(ليست) و(شوبان) في مزيج واحد ، يرسم على نغماته (رينوار) و(مانيه) و(بيكار) و(صلاح طاهر) و(الجريكو) لوحة واحدة عملاقة .. وهذة اللوحة سوف يصورها (دوجلاس سلوكومب) و(كارديف) و(عبد العزيز فهمي)وسوف يستعملها (كيو.كور) و(بركات) في فيلم مشترك .. وهذا الفيلم ستراه أنت في أرقى قاعة عرض في العالم وأنت تلتهم (ساندوتش)كفتة مشوية) .. ربما عندها تقترب من إدراك الصورة ..

الرواية القادمة

أسطورة ندر

الثمن في مصر ٢٥٠

وما يعادله بالدولار الأمريكي في سائر الدول العربية والعالم

طباعة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت : ٥٩٠٨١٥٥ - ٦٨٣٥٥٥١ - ٢٥٨٦١٩٧
فاكس ٦٨٢٧٠٠٢

مطابع